اَلْأُسُسُ الْمَنْهَجِيَّةُ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا سِيبَوَيْهِ كِتَابَ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف الدكتور

أحمد عيد عبد الفتاح حسن

الأستاذ المساعد بكُلّيّة العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد

والمدرس بكُلّيّة اللغة العربيّة بالقاهرة - جامعة الأزهر

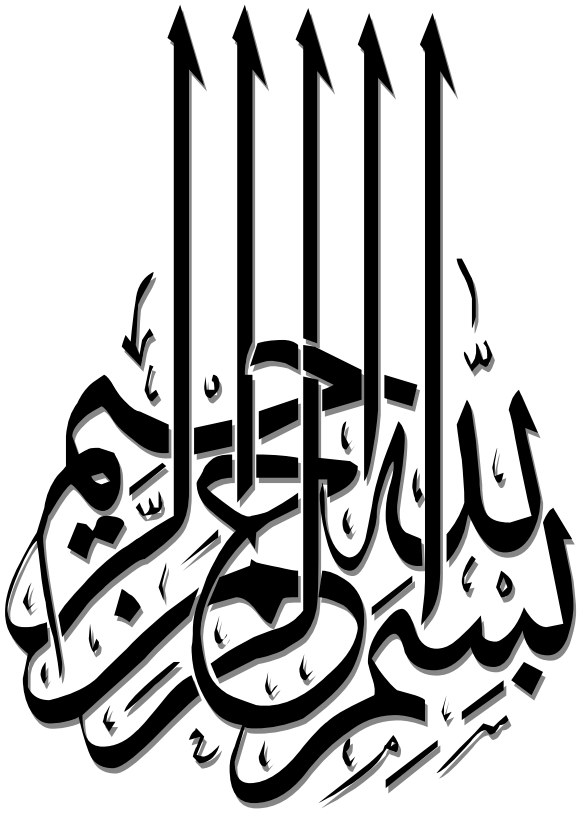
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله جَاعِلِ الْحَمْدِ مبتدأَ كتابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ... وبعد ..

فالعربية لغةٌ عالميةٌ، استمدت عالميَّتَهَا من عالمية رسالة الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

لغةٌ مقدسةٌ، استمدت قدسيتَهَا من قدسية القرآن الكريم، قال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾.(٢) وفي هذا النزول تَكْرِيمٌ للسان العربيّ، وتَشْرِيفٌ للناطقين به، ونِعْمَةٌ كُبْرَى على الْعَرَبِ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ كُلَّ حِينٍ.

لغةٌ محفوظةٌ، تَعَهَّدَ الله ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ بحفظها في حفظ كتابه حين قال:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣)، ومن حفظ الذكر الحكيم حفظ اللِّسَان الذي نَزَلَ به.

ولذلك كان الْحُكْمُ الشرعيُّ لتعلُّمِ العربية هو الوجوبَ؛ لأنَّهَا وِعَاءُ عُلُومِ الدِّينِ، ولا يُقْرَأُ القرآنُ الكريمُ إلَّا بها، فقد حَكَى الإمامُ

---

(١) سورة الأنبياء– الآية: ١٠٧

(٢) الآيات من سورة الشعراء

(٣) سورة الحجر– الآية: ٩

الزَّرْكَشِيُّ الإجماعَ على عدم صحة قراءة القرآن الكريم بغير العربية.(١)

وباللغة العربيةِ تُفْهَمُ سُنَّةُ أفْصَحِ العرب – صلى الله عليه وسلم – فتَتَحَقَّقُ الغايةُ التي خَلَقَ اللهُ الخلقَ من أجلها، وهي العبادة، قال – جَلَّ شَأْنُهُ –: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.(٢)

وهذا ما دَفَعَ جميعَ الداخلين في دين الله – تعالى– أفواجًا إلى الإقبال على اللغة العربية، وصَرْفِ الْهِمَّة إليها، حتى يحققوا الْعِبَادَةَ التى خُلِقُوا من أجلها.

فلا جِدَالَ في عالميةِ اللغة العربية، وليست في حاجةٍ إلى إثباتٍ؛ لأنَّها ليست من صُنْعِ البشر، وإنَّما هي من صُنْعِ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ.

ومن دلائل عالمية اللغة العربية: أنَّ سِيبَوَيْهِ الفارسيّ صَارَ مُتَنَسِّكًا لله – تعالى– في مِحْرَابِهَا؛ فمنحه الله – عَزَّ وجَلَّ – ما لم يمنحه لعربيٍّ، وجادت له العربيةُ بما ضَنَّتْ به على آخرين، فَسَلَّمَتْهُ مقاليدَ خزائنها النحوية والصرفية واللغوية، فقام بوضع قواعدها في كتابٍ سَمَّاه العلماءُ من بعده (قُرآن النحو)، ولقبوه هو بـ: إمام النُّحَاة، وشيخ النحويين.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٨٧، ٢٨٨

(٢) سورة الذاريات – الآية: ٥٦

ولم يقف العلماءُ في كتابِهِ على عثراتٍ في الأسلوبِ، ولا في القواعدِ، مع أنَّهُ باكورةٌ في علم النحو والتَّصْرِيف، ومع كثرة الناظرين فيه لطَلَبِ العلم، أو لالتماس الأخطاء.

وقد دفعني إلى التماس الأُسُسِ المنهجية التي بَنَى عليها سِيبَوَيْهِ كتابَ الْعَرَبِيَّةِ أمورٌ كثيرةٌ، منها:

- الحملة على سيبويه رمز اللغة العربية التي نراها من بعض الباحثين العرب وغيرهم.

- مُبَارَكة هذه الحملة من بعض الباحثين المولعين بكلِّ جديدٍ.

- اتِّهام سِيبَوَيْهِ بعدم المنهجية في التصنيف.

- اتِّهامه بأنَّهُ ارتضى لنفسه منهج الافتراض في وضع القواعد.

- اتِّهامه بعدم الانشغال بما كانَ يَرِدُ عن غيره من علماء العربية.

- دعوة بعض الباحثين العربِ إلى الاستغناء عن بعض الأبواب النحوية التي وَضَعَهَا سِيبَوَيْهِ.

كُلُّ ذلك سَمِعْتُهُ من بعض المتخصصين العرب، وهذا راجعٌ- في رأيي- إلى ما يلي:

- ضعف انتماء بعض الباحثين إلى اللغة العربية، وعدم اعتزازهم بها.

– جريان بعض الباحثين وراء علماء الغرب وتقليدهم في كلِّ صالحٍ وفاسدٍ، وبَنَّاءٍ وهَدَّامٍ.

– ظَنُّ بعض الباحثين أنَّ احتقارَ التراثِ وازدراءَ علمائِهِ طَرِيقٌ إلى الشُّهْرَة، ودليلٌ على التقدم العلميّ.

– عدم العلم بأنَّ النَّيْلَ من سِيبَوَيْهِ واضع القواعد اللغوية طريقٌ إلى الطَّعن في لغة القرآن الكريم.

وقد تَمَخَّضَ عن إمعاني النَّظَرَ في الكتاب، والانتقال فيه من باب إلى باب؛ استقراءً وبحثًا واستقصاءً – تحديدُ الأُسُس المنهجية التي بُنِيَ عليها كتاب العربية، ثُمَّ تَنَاوُلُهَا بشيءٍ من التفصيل، وقد بلغت تسعةَ أسسٍ، هي:

الأساس الأول: (تَقَصِّي حَالِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِتَحْدِيدِ الْبِيئَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ لِجْمْعِ الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ).

الأساس الثاني: (الاسْتِنَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ إلى لَهَجَاتِ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَارَةِ).

الأساس الثالث: (التَّأَكُّدُ مِنْ فَصَاحَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُم الْمَادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ).

الأساس الرابع: (التَّحَقُّقُ مِنْ ثِقَةِ الرَّاوِي اللُّغَوِيّ وصِدْقِ رِوَايَتِهِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الْعَرَبِ).

الأساس الخامس: (الاعْتِمَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ عَلَى الْكَثِيرِ الْغَالِبِ مِمَّا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ).

الأساس السادس: (أَقْوَالُ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّابِقِينَ وَشُيُوخِهِ الأَجِلاء).

الأساس السابع: (الاسْتِنَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ إِلَى السَّمَاع).

الأساس الثامن: (الاحْتِفَاءُ بالقياس والاحتكام إليه فِي تقرير الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ).

الأساس التاسع: (وُضُوحُ شَخْصِيَّةِ سِيبَوَيْهِ فِي الْكِتَابِ).

وتلت هذه الأُسُسَ خَاتِمَةٌ، جاء فيها أمران:

أحدهما: (براءة سِيبَوَيْهِ مما نُسِبَ إليه من تُهَمٍ).

والثاني: (اسْتِخْرَاجُ سِمَاتِ الْبَاحِثِ الْجَيِّدِ من كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ).

وعلى إثرها أَتَتْ أهم مصادر البحث ومراجعه.

وبإتمام هذه المسيرة الطيبة لا يسعني إلا أَنْ أُقِرَّ بعجزي عن بلوغ الكمال؛ لأَنَّهُ لله ذي الجلال، والعصمة بَعْدُ للأنبياء، ولسان حالي قول أبي القاسم الحريري: [من الرمل]

فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ ... وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا وحَسِّنِ

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا ... فَجَلَّ مَنْ لاَ عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَوْلَى ... فَنِعْمَ مَا أَوْلَى وَنِعْمَ الْمَوْلَى

ثُمَّ الصَّلاةُ بَعْدَ حَمْدِ الصَّمَدِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدِ (١)

واللهَ – تعالى – أسألُ إخلاصًا في القول، وسدادًا في العمل، وبركةً في الأجل، وهو حسبي ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. (٢)

د/ أحمد عيد عبد الفتاح حسن

عفا الله عنه، ورحم أباه.

---

(١) ملحة الإعراب / ٤٨

(٢) سورة التوبة – جزء من الآية: ١٢٩ .

(تَوْطِئَةٌ)

لقد جرت عادة الْمُصَنِّفِينَ من علماء العربية أن يوضِّحُوا لقُرَّائهم في مقدمة كتبهم مَنَاهِجَهُم التي ساروا عليها، وأَلِفَ الناسُ منهم ذلك، لكنَّ سِيبَوَيْهِ لم يفعل ذلك، مع أنَّ الخليلَ شيخه الجليل فَعَلَ ذلك في مقدمة كتابه (العين)، فما سبب ذلك ؟

لا يمكن أن يقالَ- كما يزعم بعض الباحثين-: إنَّ سِيبَوَيْهِ لم يكن يعرف منهج التصنيف، بل الذي ينبغي أن يقال: إنَّ سِيبَوَيْهِ قُدِّرَ له أن يموتَ قبل أن يَضَعَ اسمًا لكتابه، أو يكتبَ مقدمةً له تُبَيِّنُ الْمَنْهَجَ الذي سلكه في عرض الأبواب، وتقرير القواعد النحوية والتصريفية واللغوية بين دَفَّتَيْ الكتاب.

إنَّ الناظر في كتاب سِيبَوَيْهِ يُلْفِيهِ قد أورد المسائل النحوية والتصريفية واللغوية في صورة أبوابٍ يتلو بعضُها بعضًا، وقواعدَ تَتْرَى مبنيَّةً على الكلام الفصيح من أمثلةٍ، وشواهدَ، ولهجاتٍ، ثُمَّ حَلَّلَها تحليلاً دقيقًا، وأحْسَنَ التعليل لها، وأَبْدَى آراءَهُ فيها، وبَنَى قياساتِهِ عليها، وتَرَدَّدَ حُكْمُهُ عليها بين الصحةِ والخطأ، أو بين الحسنِ والقبح، أو بين الكثرة والقلة، أو بين الجودة والرداءةِ. وتأمل قوله: " وقد بلغنا أنَّ قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق، يحققون نبيء، وبريئة، وذلك قليل رديء ". (١)

---

(١) الكتاب٣/٥٥٥.

وقد يتكرر تناول سِيبَوَيْهِ للمسألة النحوية الواحدة غيرَ مرةٍ في صفحات كتابه، وهذا لا يعيبه، ولا يَشِينُهُ؛ فالرجل بَدَأَ التأليف النحويَّ، وكتابُهُ باكورةٌ فيه، ولم يَتَمَكَّنْ من مراجعته، و(تلك طبيعةُ البدايات)،كما كان يقول أستاذي الدكتور/ إبراهيم حسن- رحمه الله-.

ومنهج سِيبَوَيْهِ في الكتاب منهجٌ وَصْفِيٌّ تَقْعِيدِيٌّ تَحْلِيلِيٌّ،كمنهج غيره من علماء العربية السابقين عليه؛ إذ يقوم في بداية الأبواب- غالبًا- بإثبات الظاهرة اللغوية، أو وضع القاعدة المستنبطة، ممثلاً لها بجملٍ من إنشائه، أو من كلام شيوخه، ثم يقوم بإيراد الشواهد الفصيحة عليها، من نثرٍ أو شعر، آخذًا في تحليلها، والتعليل لها، ثم يشير إلى ما خالف الظاهرة المتناولة، أو القاعدة الموضوعة من شواهد، أو مذاهب لبعض العرب.

فما سِيبَوَيْهِ إلا حلقة قوية مؤثرة في سلسلة منهجية رائدةٍ في معالجة النصوص والشواهد اللغوية، قامت بوضع القواعد، ورسم القياسات، وإبداء الآراء، والتماس التعليلات. ويُؤَكِّد ذلك قول أبي القاسم الزجاجي: " ذكر بعض شيوخنا أنَّ الخليل بن أحمد – رحمه الله – سئل عن العلل التي يعتلُّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إنَّ العرب نطقتْ على سجيتها وطباعها، وعرفتْ مواقع كلامها، وقام في عقولها عِلَلُهُ، وان لم يُنْقَل ذلك عنها. واعتللْتُ أنا بما عندي أنَّهُ علةٌ لما عللته منه. فإن أكنْ أصبْتُ العلة فهو الذي التمسْتُ. وإن تكن هناك علةٌ له فَمثلِي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام،

وقد صحَّتْ عنده حكمةُ بانيها، بالخبر الصادق اليقين أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجلُ في الدار على شيءٍ منها قال: إنَّما فُعِلَ هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائزٌ أن يكون الحكيم الباني للدار فَعَلَ ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائزٌ أن يكون فَعَلَهُ لغير تلك العلة، إلا أنَّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتملٌ أن يكون علةً لذلك. فإنْ سَنَحَ لغيري علةٌ لما عللته من النحو هي أَلْيَق مما ذَكَرْتُهُ بالمعلول فليأت بها".(١)

(١) الإيضاح في علل النحو/٦٥، ٦٦.

الأسَـاسُ الأوَّلُ

(تَقَصِّي حَالِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِتَحْدِيدِ الْبِيئَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ لِجَمْعِ الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ)

لقد اسْتَقَرَّ في نَفْسِ سيبويه وغيره من أئمَّةِ العربية أنْ ليس كلُّ الْعَرَبِ صالحينَ لأنْ تُرْوَى عَنْهُمُ اللغةُ وتُؤْخَذ؛ للاقتداءِ بهم فيها، واستنباط القواعد منها، ورَسْمِ القياسات على مقتضاها، بل لا بُدَّ من الْبَحْثِ الْمُتَأَنِّي في أحوالهم، ولا بُدَّ من التَّحَرِّي الدَّقيقِ عن أماكِنِهم وجيرانِهم، ولا بُدَّ من التَّقَصِّي الْجَيِّد عن مَشَارِبِهِم اللُّغَوِيَّة.

وقد تَمَخَّضَ عن ذلك الاسْتِقْرَارُ على أنَّ القبائلَ الْعَرَبِيَّةَ الْخَالِصَةَ الَّتِي لَمْ تُخَالِطْ غيرها؛ فَلَمْ يَشُبْها عَيْبٌ، ولَمْ يَجْرِ على أَلْسِنَتِهَا لَحْنٌ، فسلمت لُغَتُهَا – هي الَّتِي يَجُوزُ الأَخْذُ عنها، وأنَّ القبائلَ التي وقع شَكٌّ في أنَّهَا خالطت غَيْرَ العرب – لا يَجُوزُ الأَخْذُ عنها، وشَأْنُ سِيبَوَيْهِ في ذلك شأن غيره من علماء البصرة الأجلاء.

وقد حَدَّدَ أبو نصر الفارابي(١) القبائل المأخوذ عنها اللغة، وهي سبع قبائل، حين قال:" كانت قريش أجودَ العربِ انتقادًا للأفْصَحِ

---

(١) هو محمد بن محمد بن طَرْخان بن أوزلغ، أكبر فلاسفة المسلمين، ويُعرف بالمعلم الثانى، ولد فى فاراب (على نهر جيحون)، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، ورحل إلى مصر والشام، ومن مؤلفاته:

=

من الألفاظ، وأسهلها على اللِّسان عند النُّطْق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانةً عَمَّا في النفس.

والذين عنهم نُقِلَتْ اللغة العربية، وبهم اقْتُدِي، وعنهم أُخِذَ اللِّسان العربيّ من بين قبائل العرب، هم: قيس، وتميم، وأسد، فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذَ ومعظمه، وعليهم اتُّكِلَ فى الغريب، وفى الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ". (١)

فعن هذه القبائل المنتقاة، المشهود لها بالفصاحة أُخِذت اللغة الْفُصْحَى، وبُنِيَت عليها القواعد، ولو تتبعنا الشواهد الشعرية وقائليها، والأمثال العربية ومَنْ دارت على ألسنتهم، والأقوال العربية وناطقيها في كتب العربية فإنَّنَا واجدون أكثرها لهؤلاء ومن تَفَرَّع عنهم.

ولم يُؤخذ عن غير هذه القبائل المذكورة، ودونَكَ تَفْصِيلَ القول فيها على النحو الآتي:

القبيلة الأولى : (قُرَيْش)

الفصوص، وإحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، والخطابة، توفى بدمشق سنة ٣٣٩ هـ. ينظر: الأعلام ٢٠/٧.

(١) ينظر: المزهر ٢١١/١، ٢١٢، والاقتراح /١١٢، ١١٣.

وهي قبيلة عربية عظيمة الشَّأْنِ، أَبُوهَا النَّضْرُ بن كِنَانة بن خُزَيْمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، وقد أجمع العلماء بكلام العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم أنَّها أَفْصَحُ العرب ألسنة، وأصفاهم لغة.

ولقريش تسعة بطون على الأصح، (١) وهي:

١ – بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

٢ – بنو عبد العزى بن قصي.

٣ – بنو عبد الدار بن قصي.

٤ – بنو زهرة بن كلاب.

٥ – بنو تيم بن مرة.

٦ – بنو مخزوم بن يقظة بن مرة.

٧ – بنو عدي بن كعب.

٨ – بنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب.

٩ – بنو سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب.

---

(١) ينظر: معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٣ /٩٤٧، ٩٤٩

وصَفْوَةُ قُرَيْش بَنُو هاشِم بن عَبْد منافٍ، وصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ على الإطلاقِ، وأَفْصَحُ الْعَرَبِ أَجْمَعِينَ، وأَكْرَمُ الْخَلْقِ كُلِّهِم نَسَبًا، وخَلْقًا، وخُلُقًا- مَنْ أُوتِيَ جَوَامِع الْكَلِمِ مُحَمَّدٌ- صلى الله عليه وسلم- .

روى الإمام مسلم عن وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ".(١)

ولم يَنُصَّ سيبويه عليها صراحةً في الكتابِ، بل إذا رأيتَهُ يَقول: (لغة أهل الحجاز)، أو (لغة الحجازيّين) فاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ قُرَيْشًا ومَنْ وَالاهَا، أو جَاوَرَهَا من القبائل العربية.

ومن شعرائها الذين احْتُجَّ بشعرهم في الكتاب: زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن الحارث السهمي، وعمر بن أبي ربيعة، وعبيد الله بن قيس الرُّقيَّات، وصفية بنت عبد المطلب.(٢)

القبيلة الثانية : (قَيْس)

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه،كتاب (الفضائل)، باب (فضل نسب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوّة).

(٢) ينظر: الكتاب ١٧٦/٥ - ١٨٨

وهي قَيْسُ عَيْلاَن بن مُضَر بن نِزار، وقد جمع عدة قبائل، منها:

– قبيلة هَوَازِن: ومن بطونها: بنو معاوية بن بكر، وبنو منبه بن بكر، وبنو سَعْد بن بكر، ومنهم: غَنِيٌّ.

ولغَنِيٍّ ذِكْرٌ ثابتٌ في الْكتابِ، ومنه: ما ذَكَرَه سيبويه في (باب اختلاف العرب في تحريك الآخر لأنَّهُ لا يستقيم أن يسكن هو والأول من غير أهل الحجاز) أنَّهُ إذا كان الْفِعْلُ الذي اجتمع فيها المثلان مضارعًا مجزومًا، وعلامة جزمه السكون، أو أمرًا مبنيًّا على السكون، ولم يتصل به هاء الغائبة أو هاء الغائب، أو يقع بعده الألف واللام، نحو: لم يَحْلُلْ ولم يَحُلَّ، واحْلُلْ وحُلَّ، ونحو ذلك . فإنَّ لُغَةَ كَعْبٍ وغَنِيٍّ وُجُوبُ الإدغام مع الكسر مطلقًا على كلِّ حالٍ، سواء أكانت الفاء مضمومةً، أم مفتوحةً، أم مكسورةً، فيقولون: حُلِّ، ورُدِّ، وعَضِّ، وفِرِّ، ولم يَحُلِّ، ولم يَرُدِّ ، ولم يَعَضِّ، ولم يَفِرِّ. قال سيبويه: " ومَنْ يَكْسِر كَعْبٌ وغنِيٌّ ".(١) ومن شعرائها المستند إلى شعرهم في الكتاب: كعب بن سعد الغنويَ، وطفيل بن كعب الغنويّ.

ومنهم: بنو عامر بن صَعْصَعَة، وإليهم يُنْسَب مجنون ليلى قيس بن الملوح، ولبيد بن ربيعة، وخِداش بن زهير، ولهم شِعْرٌ مستشهدٌ به في الكتاب.

---

(١) الكتاب٣/٥٣٤

ومن بنى عامر: بنو كِلاب، وبنو هِلال، وبنو عُقَيْل. وعن هؤلاء أَخَذَ أبو زيد الأنصاريّ اللغة، قال السيوطي: " قال ثعلب في أماليه: قال أبو المنهال: قال أبو زيدٍ: لَسْتُ أقولُ: قالت العربُ إلا إذا سَمِعْتُهُ من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة، أو سافلة العالية، وإلا لم أقل: قالت العرب.

قال: وعَرَضْتُ قوله على الأخفش صاحب الخليل وسيبويه في النَّحو، فجعل يقول: قال يونس: حدّثني الثِّقَةُ عن العرب قلت له: مَنِ الثِّقَةُ ؟ قال: أبو زيد، فقلْتُ له: فما لك لا تُسَمّيه ؟ قال: هو حَيٌّ بَعْدُ؛ فأنا لا أُسَمّيه ".(١)

ومن شعرائهم المعتمد على شعرهم في الكتاب: الْقَتَّال الكلابيّ، ويزيد بن عمرو الصَّعِق الكلابيّ، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وحميد بن ثَوْر الهلاليّ، ومزاحم العقيليّ.

ومن بطون هوازن – أيضًا –: نَصْر بن معاوية، وبنو جُشَم بن بكر، وثقيف، ومنها: الحجاج بن يوسف.

ومن شعراء ثقيف المستشهد بشعرهم في الكتاب: أمية بن أبي الصلت، والحارث بن كلدة، ويزيد بن الحكم، وأبو محجن – الثقفيون.

---

(١) المزهر ١/ ٥٨

وهؤلاء هم الذين أَخَذَ عنهم اللُّغَةَ أبو عمرو بن العلاء، وقال فيهم: أفْصَحُ العرب عُلْيَا هَوَازن وسُفْلَى تميم، فعُلْيَا هَوَازن هي: سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونَصْر بن معاوية، وثقيف. وأما سُفْلَى تميم فبنو دَارِم. قال أبو عبيد: وأحسب أفْصَحَ هؤلاء بني سعد بن بكر؛ وذلك لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (أنا أفصح العرب بَيْدَ أنِّي من قريش، وأنِّي نشأْتُ في بني سعد بن بكر).(١)

–وقبيلة بَاهِلَة، وإليها يُنسب الصحابى الجليل أبو أمامة الباهليُّ –رضى الله عنه –ولبعض رجالها شعرٌ محتجٌّ به في الكتاب، كعمرو بن أحمر، وشقيق بن جزء.

– وقبيلة بنى مَازِن بن منصور، وكان عددها قليلاً.

– وقبيلة بنى غَطَفَان: ومن بطونها: بنو عَبْسٍ، وإليهم ينسب عنترة بن شداد الشاعر الفارس المعروف، وشداد بن معاوية العبسيّ، ولهما شعرٌ مستندٌ إليه في الكتاب. وأَشْجَعُ، وذِبْيَانُ، ومن شعراء ذبيان في الكتاب: النابغة الذبياني، والشَّمَّاخ بن ضرار الذبياني.

ومن ذبيان: بنو فَزَارة. ولفزارة وجودٌ صريحٌ في الكتاب، ولبعض شعرائها شواهد فيه، كالربيع بن ضبع الفزاريّ، وأبي أسماء بن الضريبة الفزاريّ.

---

(١) ينظر: المزهر ١/ ٨٠، والحديث ذكره السيوطي في مزهره، وإذا لم يصح فمعناه صحيح.

– وقبيلة بنى سُلَيْم: وهم أكبر قبائل قيس، وكانت منازلهم فى عالية نَجد بالقرب من خيبر. وقد حَكَى سيبويه عن أبي الخطاب بعض ظواهرهم اللغوية في الكتاب، ومن شعرائها فيه: الْخَنْساء، وأنس بن العباس، والعباس بن مرداس – السُّلَمِيُّونَ.

– وقبيلة بنى عَدْوَان: وكانت منازلهم بالطائف من أرض نجد. (١) ولبعض شعرائها شواهد معتمدٌ عليها في الكتاب، كذي الإصبع العدواني.

القبيلة الثالثة : (تَمِيم)

وهي تميم بن مُرٍّ، قبيلة عظيمة ينتهي نسبها إلى مَعَدّ بن عدنان، ومن بطونها: بنو حَنْظَلَة، وبنو يَرْبُوع، وبنو دارم، وبنو الْعَنْبَر.(٢)

---

(١) ينظر: جمهرة أنساب العرب/٤٦٨، ٤٦٩، وتاريخ ابن خلدون٢/٣٠٠ – ٣٠٧، ومعجم قبائل العرب ١٢٣١/٣.

ولبني الْعَنْبَر ذِكْرٌ صريحٌ في الكتاب، ومنه: ما قَرَّرَهُ سيبويه في (باب ما تقلب فيه السين صادًا في بعض اللغات) أنَّ إيدال السين صادًا إنْ وَقَعَ بعدها غَيْنٌ، أو خَاءٌ، أو قَافٌ، أو طَاءٌ في كلمةٍ واحدةٍ، نحو: سَالِغ، وسَلَخَ، وسُقْتُ، وسَاطِع . لُغَةُ بني الْعَنْبَر، فيقولون: صَالِغ، وصَلَخَ، وصُقْتُ، وصَاطِع.(١)

ولبعض شعراء تميم شواهد محتجٌّ بها في الكتاب، ومنهم: رؤبة بن العجاج، والزبرقان بن بدر، وجرير بن عطية، وطريف بن تميم العنبري، والأزرق العنبريّ، والْكَلْحَبَة الثعلبيّ اليربوعيّ، وسحيم بن وئيل اليربوعيّ. (٢)

القبيلة الرابعة : (أَسَد)

هناك قبيلتان كبيرتان عربيتان تحملان هذا الاسم، وينتهي نسبهما إلى مَعَدّ بن عدنان، وهما:

---

(٢) ينظر: صبح الأعشى١/٣٤٦ – ٣٥١، ومعجم قبائل العرب١/ ١٢٦،١٢٧

(١) ينظر: الكتاب٤/٤٨٠

(٢) ينظر: الكتاب ٥/١٧٦ – ١٨٩

– قبيلة أَسَد بن خزيمة بن مدركة، ومن بطونها: بنو كاهل، وبنو غنم بن دُودَان، وبنو ثعلبة بن دُودَان، وبنو فَقْعَس، وبنو دُبَيْر.

– وقبيلة أسد بن رَبيعة بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، ولها غير فَخِذٍ، منها: بنو عَنَزة، وكانت منازلهم خيبر، من ضواحى المدينة، وجَدِيلَةُ، وتشعبت منها: عَبْدُ القيس، وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى البحرين، وزاحموا من بها، وقاسموهم المواطن.

وتشعبت منها أيضًا: بنو النَّمِر، وبنو وائل، ومن وائل: بكر وتغلب، وهما بنو بكر وتغلب ابني وائل. (١)

وقد كان للمجتمع الأسدي وما تَشَعَّبَ منه دَوْرٌ كبير في بناء الكتاب، وذِكْرٌ صَريحٌ فيه. ومن الشعراء الأسديين الذين لهم شواهد في الكتاب: عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ، والكميت بن زيد، وعقيبة الأسدي، وفزَّار الأسديّ، والربيع الأسديّ، وعمرو بن شأس الأسديّ. (٢)

القبيلة الخامسة : (هُذَيْل)

وهي هُذَيْل بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، وهى قبيلة متسعة، وإليها يُنسب الصحابى الجليل عبد الله

---

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون ٢/٣٠٠ – ٣٠٧، ومعجم قبائل العرب ١/ ٢١، ٢٤

(٢) ينظر: الكتاب ٥/١٨١ – ١٨٨

بن مسعود – رضى الله عنه – ولها بطون كثيرة، منها: لِحْيَانُ بن هُذَيْل، وسعد بن هُذَيل، وخُنَاعَةُ بن سعد، وحريث بن سعد، وصاهلة بن كاهل، وصبح بن كاهل، وكعب بن كاهل. (١)

وكَم من جانبٍ نحويّ أو تصريفيّ أو لُغَوِيّ اختلفت عليه لغة هُذَيْل مع لغة غيرهم من العرب في كُتُبِ النحو جَمْعَاء.

ومن شعرائها الذين لهم شواهد في الكتاب: أبو ذؤيب الهذليّ، وساعدة بن جؤية، ومالك بن خويلد الخناعي، وأمية بن أبي عائذ.

القبيلة السادسة : (بعض كِنَانَة)

وهي كِنَانَةُ بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، ولها خمسة فروع:

أحدها: بنو مَلْكَان، والثانى: بنو عَبْد مَناة، ولهم عدة بطون، منها: غِفار، وهم رَهْطُ أبى ذر – رضى الله عنه – وبنو بكر، ومن بكر هؤلاء: بنو الدُّئِل الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدؤلى، وبنو لَيْثٍ، وبنو الحارث، وبنو مُدْلِج، وبنو ضَمْرَة. والثالث: عمرو بن كنانة، وإليه يُنسب الْعَمْرِيُّونَ من كنانة. والرابع: عامر بن كنانة، ومنه: الْعَامِرِيُّونَ من كنانة. والخامس: مالك بن كِنَانَة.(٢)

---

(١) ينظر: جمهرة أنساب العرب/١٩٠ – ٢٠١، ومعجم قبائل العرب٣/ ١٢١٣.

(٢) ينظر: جمهرة أنساب العرب/ ٤٦٥، ٤٦٦، والعقد الفريد٣/٣٣٨

=

ومن شعرائها الذين اعتمد عليهم سيبويه: أبو الأسود الدؤليّ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابيّ – رضي الله عنه – وقيس بن ذريح، وهُنَي بن أحمر الكناني. (١)

القبيلة السابعة : (بعض الطائيين)

والطَائيُّون هم بنو طَيِّئ بن أُدَدَ، ولهم بطون كثيرة، منها: بنو ثُعَل بن عمرو، وجَدِيلَةُ، ونَبْهَانُ، وبَوْلاَنُ، وهِنَاءُ، وجُرْمُ، وثَعْلَبَةُ، وغَزِيَّةُ، وبنو لام بن عمر، وآل ربيعة، وبُحْتُرُ، وزُبَيْدُ، وسُدُوسُ، وسُنْبُسُ.(٢)

ومن شعرائها الذين لهم شواهد في الكتاب: حاتم بن عبد الله الطائيّ، وأبو زبيد الطائيّ، وعمرو بن عمَّار الطائيّ، وزيد الخيل (الخير). (٣)

(القبائل التي امتنع العلماء عن الأخذ منهم)

حَدَّدَهَا الفارابيُّ في عبارةٍ، تَلَقَّفَهَا اللاحقون من العلماء، وسَلَّمُوا بها، وهي قوله: " وبالجملة فإنَّهُ لم يُؤْخَذْ عن حَضَرِيّ قط،

– ٣٤٤

(١) ينظر: الكتاب ١٧٦/٥ – ١٩٤

(٢) ينظر: جمهرة أنساب العرب/ ٤٧٦، ٤٧٧

(٣) ينظر: الكتاب ١٨٢/٥ – ١٨٨

ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى كانت تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنَّهُ لم يُؤْخَذْ من:

– لَخْم، ولا من جُذَام؛ فإنَّهُم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط.

– ولا من قُضَاعة، ولا من غَسَّان، ولا من إِياد؛ فإنَّهُم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية.

– ولا من تَغْلِب والنَّمِر؛ فإنَّهُم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية.

– ولا من بكر؛ لأنَّهُم كانوا مجاورين للنَّبَط والفرس.

– ولا من عبد القيس؛ ولا من أزد عَمَّان؛ لأنَّهُم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس.

– ولا من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم للهند والحبشة.

– ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.

– ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم ".(١)

(تَقْرِيرٌ)

---

(١) ينظر: المصدران السابقان

لقد فاتت الدقة أبا نصر الفارابي في تحديده للقبائل العربية التي رفض العلماء أخذ اللغة عنهم؛ إذ لم تمثل عبارته الواقع اللغوي الذي جاء في كتاب العربية، فقد استند سيبويه إلى شعر أكثر القبائل التي نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عنها، وأكثرها قبائل متفرعة عن القبائل السالفة التي أخذ عنها العلماء، ونَصَّ عليها الفارابي في عبارته الأولى.

فعَبْدُ القيس، والنَّمِر، وبَكْر وتَغْلِب ابنا وائلٍ – قبائل عربية تشعبت عن جَدِيلَة التي تفرعت عن قبيلة أسد التي جاء النَّصُّ على أنَّها من القبائل العربية الخالصة التي أُخِذَت عنها اللغة.

وثقيف بَطْنٌ من بطون هوازن التي تفرعت عن قَيْس عَيْلان العربية الخالصة، وقد أَخَذَ عنها اللُّغَةَ أبو عمرو بن العلاء، وقال فيهم: أَفْصَحُ العرب عُلْيَا هَوَازن وسُفْلَى تميم، فعُلْيَا هَوَازن هي: سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونَصْر بن معاوية، وثقيف.

ولبعض هؤلاء المذكورين وبعض شعرائهم دورٌ صريحٌ في بناء الكتاب، وبالمثال يتضح المقال، فدونك الأمثلة:

(١) نَصَّ الفارابيُّ على عدم الأخذ عن قضاعة مع أنَّ سيبويه استشهد بشعر بعض شعرائها، كعدي بن الرِّقاع. (١) ومن ذلك قوله في (باب وُقوع الأسماء ظُروفًا وتصحيح اللفظ على المعنى): " وسمعنا العربَ الفصحاءَ يقولون : انطلقتُ الصَّيْفَ ، أَجروه على

(١) الكتاب ٥/ ١٨٦

جواب مَتَى ، لأنَّه أَراد أن يقول فى ذلك الوقتِ ، ولم يُرِد العددَ وجوابَ كَمْ . وقال ابن الرِّقاع: [من الخفيف]

فقُصِرْنَ الشِّتَاءَ بَعْدُ عَلَيْهِ وَهْوَ للذَّوْدِ أنْ يُقَسَّمْنَ جارُ (١)

... ".(٢)

(٢) نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عن تغلب، مع أنَّ سيبويه احتج بشعر بعض شعرائها، كالأخطل، وكعب بن جُعَيْل، والْقُطَامي.(٣)

فمن احتجاجه بشعر الأخطل قوله في(باب ما يَنتصب على التعظيم والمدح): " وإن شئت جعلتَهُ صفةً فجرى على الأوَّل ، وإن شئت قطعتَهُ فابتَدأتَهُ . وذلك قولك : الحمدُ للهِ الحميدَ هو ، [والحمدُ للهِ أهلَ الحمدِ] ، والملكُ لله أهلَ الملكِ . ولو ابتدأتَهُ فرفعتَهُ كان حسنًا ، كما قال الأخطل : [من البسيط]

نفْسِي فِدَاءُ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إذَا أبْدَى النَّواجِذَ يَوْمٌ بَاسِلٌ ذَكَرُ

---

(١) البيت في ملحقات ديوان الشاعر/٢٧٦.

(٢) السابق ٢١٩/١

(٣) السابق٥/ ١٧٦،١٨٩، ١٩٠

الْخَائضُ الْغَمْرَ والْمَيْمُونُ طَائرُهُ خَلِيفَةُ اللهِ يُسْتَسْقَى به الْمَطَرُ (١)

...".(٢)

ومن احتجاجه بشعر كعب بن جُعَيْلٍ قوله في (هذا باب ما يَنْصِبُ نَصْبَ كَمْ إذا كانت منونةً في الخبر والاستفهام): " ومثلُ ذلك : لا كزيدٍ فارسًا ، إذا كان الفارسُ هو الذي سَمَّيْتَهُ ، كأنك قلتَ لا فارسَ كزيدٍ فارسًا ، وقال كعب بن جُعَيْلٍ : [من الطويل]

لنَا مِرْفَدٌ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجّجٍ فَهَلْ في مَعَدٍّ فَوْقَ ذلك مِرْفَدَا

[كأنه قال : فهل في مَعَدٍّ مِرْفَدٌ فوق ذلك مرفدًا] ".(٣)

ومن احتجاجه بشعر الْقُطَامِي قوله في (باب ما يكون واحدًا يقع للجميع من بنات الياء والواو ويكون واحده على بنائه ومن لفظه ، إلا أَنَّهُ تَلحقه هاء التأنيث لتُبَيِّن الواحدَ من الجميع): " قال الشاعر ، وهو الْقُطَامِي : [من الوافر]

فَكُنَّا كَالْحَرِيقِ أصَابَ غَابَا فيَخْبُو سَاعَةً ويَهِيجُ سَاعَا(٤)

---

(١) البيتان في ديوان الشاعر/١٠٣، ١٠٤

(٢) الكتاب٢/٦٢

(٣)الكتاب ٢/١٧٣

(٤) البيت في ديوان الشاعر/٣٤

فقال : سَاعَةٌ وسَاعٌ ، وذلك كهامةٍ وهامٍ ، ومثله آيَةٌ وآيٌ".(١)

(٣) نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عن بكر، واستشهد سيبويه بشعر بعض شعرائها، كالمسيب بن عَلَسٍ، ونَهَار بن تَوْسِعَة، وطَرَفَة بن العبد. (٢)

فمن استشهاده بشعر المسيب بن عَلَسٍ قوله في (باب ما يكون واحدًا يقع للجميع من بنات الياء والواو ويكون واحده على بنائه ومن لفظه، إلا أَنَّهُ تَلحقه هاء التأنيث لتُبَيّن الواحدَ من الجميع): " وقالوا : لقحةٌ ولقاحٌ ، كما قالوا في باب فعلةٍ فعالٌ نحو: جفرةٍ وجفارٍ ، ومثل ذلك : حقةٌ وحقاقٌ ، وقد قالوا حِققٌ. قال الشاعر ، وهو المسيب بن عَلَسٍ : [من الكامل]

قَدْ نَالَنِي مِنْهُمْ عَلَى عَدَمٍ مِثْلُ الْفَسِيلِ صِغَارُهَا الْحِقَقُ ".(٣)

ومن استشهاده بشعر نَهَار بن تَوْسِعَة قوله في (باب المنفى المضاف بلام الإضافة): " فإذا قلت لا أَبَالك فها هنا إضمارُ مكانٍ ولكنه تُرِكَ استخفافًا واستغناءً . قال الشاعر ، وهو نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ الْيَشْكُرِيّ فيما جَعَلَهُ خبرًا : [من الوافر]

---

(١) السابق ٣/٥٩٦

(٢) السابق ٥/١٨٤، ١٩٢، ١٩٣

(٣) الكتاب ٣/٥٨٥، ٥٨٦

أبِى الإسْلامُ لا أبَ لي سِوَاهُ إذَا افْتَخَرُوا بقَيْسٍ أوْ تَمِيمِ ".(١)

ومن استشهاده بشعر طَرَفَة قوله في (باب ما جَرَى فى الاستفهام من أَسماءِ الفاعلينَ والمفعولينَ مَجرَى الفعل كما يَجرى فى غيره مَجرى الفعل): " وأجروه حين بنوه للجمع كما أُجرىَ فى الواحد ليكونَ كفَواعِلَ حين أُجرىَ مثل فاعلٍ . من ذلك قول طَرَفَة: [من الرمل]

ثُمَّ زَادُوا أنَّهُمْ في قَوْمِهِمْ غُفُرٌ ذَنْبَهُمُ غَيْرُ فُجُرْ (٢)

...".(٣)

(٤) نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عن عبد القيس، مع أنَّ سيبويه استند إلى شعر بعض شعرائها،كالأعور الشَّنِّيّ، وزياد الأعجم، والصَّلَتان العبدي، والمفضل البكري العبدي. (٤)

فمن استناده إلى شعر الأعْوَر الشَّنَّىّ قوله في باب (ما أُجْرَى مَجْرى لَيْسَ في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يَصيرُ إلى

---

(١) السابق ٢/٢٨٢

(٢) البيت في ديوان الشاعر/٥٠

(٣) السابق ١/١١٢، ١١٣

(٤) السابق ٥/١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٢

أصله): " ومن ذلك قول الشاعر ، وهو الأعْوَرُ الشَّنَّىّ: [من المتقارب]

هَوِّنْ عليكَ فإنّ الأُمُورَ بكَفّ الاله مَقاديرُهَا

فَلَيْسَ بآتيكَ مَنْهِيُّهَا ولا قاصِرٌ عنك مأمُورُهَا

لأنه جعل المأمورَ من سبب الأُمور ولم يجعله من سبب المذكَّر وهو المَنهىّ . وقد جَرَّه قومٌ فجعلوا المأمورَ للمنهىّ ، والمنِهىُّ هو الأُمورُ لأنّه من الأُمور ، وهو بعضُها ، فأجراه وأَنَّثَه".(١)

وقوله في باب (أو): " وقال زياد الأعجم : [من الوافر]

وكُنْتُ إذا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أو تَسْتَقِيمَا(٢)

معناه إلا أن ".(٣)

ومن استناده إلى شعر الصَّلَتانِ الْعَبْدِيّ قوله (هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء): " وسألتُ الخليل رحمه الله ويونس عن نصبِ قول الصَّلَتانِ الْعَبْدِيّ: [من الطويل]

---

(١) الكتاب ٦٣/١، ٦٤

(٢) البيت في ديوان الشاعر/١٠١

(٣) السابق ٤٨/٣، ٤٩

يا شَاعِرًا لا شَاعِرَ الْيَوْمَ مِثْلَهُ جَرِيرٌ ولَكِنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

فزعما أنه غيرُ منادًى ، وإنَّمَا انْتَصب على إضمارٍ كأنه قال يا قائلَ الشِّعْرِ شَاعِرًا. وفيه معنى حَسْبُكَ به شاعرًا .

كأنه حيثُ نادَى قال حَسْبُكَ به ، ولكنَّه أَضْمَرَ كما أضمروا في قوله : تالله رجلاً وما أشبهه ".(١)

ومن استناده إلى شعر المفضل الْعَبْدِيّ قوله في (هذا باب من أبواب أنَّ تكون أنَّ فيه مبنية على ما قبلها): " ونظيرُ أحقًّا أنَّك ذاهبٌ من أشعار العرب قولُ الْعَبْدِيّ: [من الوافر]

أَحَقًّا أنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا فَنِيَّتُنَا ونِيَّتُهُمْ فَرِيقُ

قال : فريق ، كما تقول للجماعة : هم صديق ". (٢)

(٥) نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عن ثقيف، واعتمد سيبويه على شعر بعض شعرائها، كأبي مِحْجَنِ الثَّقَفّي، وأمية بن أبي الصلت.(٣)

---

(١) السابق ٢/٢٣٦، ٢٣٧

(٢) الكتاب ٣/١٣٦

(٣) السابق ٥/ ١٧٧، ١٩١

فمن اعتماده على شعر أبي مِحْجَنِ الثَّقَفّي قوله في (باب مَجرى النعتِ على المنعوتِ والشَّريكِ على الشَّريكِ والبَدَلِ على المُبْدِلَ منه وما أشبه ذلك):" وقال أبو مِحْجَنِ الثَّقَفّي: [من الكامل]

يَا رُبَّ مِثْلِكِ فى النِّسَاءِ غَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ قَدْ مَتَّعْتُهَا بِطَلَاقِ (١)

فرُبّ لا يقع بعدها إلاّ نكرةٌ ، فذلك يدلّك على أنّ(غابطنا) و(مثلك) نكرةٌ ". (٢)

ومن اعتماده على شعر أُميّة بن أبى الصلت قوله(هذا بابٌ أيضًا من المصادر يَنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهارُه، ولكنَّها مصادرُ وُضعَتْ موضعًا واحدًا لا تَتصرَّفُ فى الكلام تصرُّفَ ما ذكرنا من المصادر): " وقد جاء سُبْحانَ منوَّنًا مفرَدًا فى الشعر ، قال الشاعرُ ، وهو أُميّةُ بن أبى الصلت: [من البسيط]

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِىُّ والْجُمُدُ (٣)

شَبَّهَهُ بقولهم: حِجْرًا وسَلامًا ".(٤)

---

(١) لم أجد البيت في ديوان الشاعر.

(٢) السابق ٤٢٧/١، وينظر: ٢/ ٢٨٦

(٣) البيت في ديوان الشاعر/ ١٦١

(٤) السابق ٣٢٦/١، ٣٢٧

(٦) نَصَّ الفارابي على عدم الأخذ عن سكان الطائف، وعن حضريٍّ قط، مع أنَّ سيبويه استشهد بعدد كبير من شعراء الطائف، ومكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، كعَدِيّ بن زيد، وعبيد الله بن قيس الرقيات، والْكُمَيْت بن زيد. (١)

فمن استشهاده بشعر عَدِيّ بن زيد قوله في (باب ما يكون المستثنى فيه بدلاً مما نُفِيَ عنه ما أُدخل فيه): " وكذلك ما علِمْتُ أحدًا يقول ذاك إلا زيدًا . وإن شئتَ رفعتَ فعربيٌّ . قال الشاعر ، وهو عَدِيُّ بن زيد : [من المنسرح]

في لَيْلَةٍ لا نَرَى بِهَا أحَدًا يَحْكِي عَلَيْنَا إلا كَوَاكِبُهَا (٢)

... ".(٣)

ومن استشهاده بشعر ابن قيس الرُّقَيَّات قوله في (باب ما ينصرف وما لا ينصرف من بنات الياء والواو التي الياءات والواوات منهن لامات): " فلمَّا اضْطُرُّوا إلى ذلك في موضعٍ لا بدَّ لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل . قال الشاعر ، ابن قيس الرُّقَيَّات : [من المنسرح]

---

(١) الكتاب ٥/١٨٤، ١٨٦، ١٩٠

(٢) البيت في ملحقات ديوان الشاعر/١٩٤

(٣) السابق ٢/ ٣١٢

لا بَارَكَ اللهُ في الْغَوَانِي هَلْ يُصْبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ (١)

وقال : وأنشدني أعرابيٌّ من بني كُلَيْب لجرير : [من الطويل]

فيَوْمًا يُوافِيني الْهَوَى غَيْرَ ماضِيٍ وَيَوْمًا تَرَى مِنْهُنَّ غُولاً تَغَوَّلُ (٢)

قال : ألا تراهم كيف جَرُّوا حين اضْطُرُّوا ، كما نصبوا الأول حين اضْطُرُّوا ، وهذا الجرّ نظير ذلك النصب ". (٣)

ومن استشهاده بشعر الْكُمَيْت قوله في باب (أسماء السُّور): " وأما حم~ فلا ينصرف ، جعلتَهُ اسمًا للسورة أو أضفتَهُ إليه ، لأنَّهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجميّ ، نحو : هابيلَ وقابيلَ ، وقال الشاعر ، وهو الْكُمَيْت : [من الطويل]

وَجَدْنا لَكُمْ في آلِ حَامِيمَ آيَةً تَأوَّلَها مِنَّا تَقِي ومُعْرِبُ (٤)

... ".(٥)

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٣

(٢) البيت في ديوان الشاعر/٣٦٦

(٣) السابق ٣/ ٣١٣، ٣١٤

(٤) البيت في ديوان الشاعر/١٨

(٥) السابق ٣/ ٢٥٧

أرأيْتَ كيف افتقد نَصُّ الفارابي الدقةَ في تصوير الواقع اللغوي الذي ورد في كتاب العربية، وقام به إمام النحويين ؟

ألستَ ترى معي هذا النَّصَّ واهيَ الدلالة، ولا يعتمد عليه اعتمادًا كُلِّيًا في تحديد منهج علماء العربية القدامى في جمع اللغة، ووضع قواعدها ؟

ألم تصبح على قناعةٍ بأنَّ سيبويه أدْرَى من الفارابي بتحديد البيئة المكانية للقبائل العربية الخالصة، وتعيين مواطن الفصاحة في الجزيرة العربية، وأعرف منه بأصول القبائل وفروعها ؟

لا أراك تجيب عن هذه التساؤلات بغير الإثبات.

الأسَاسُ الثَّانِي

(الاسْتِنَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ عَلَى لَهَجَاتِ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَارَةِ)

لقد استند سيبويه في تقريره للأحكام النَّحْوِيَّةِ والتَّصْرِيفِيَّةِ واللُّغَوِيَّة إلى لهجات هؤلاء الفصحاء المذكورين، ومَثَّلَتْ بَعْضَ لَبِنَاتِ بِنَاءِ كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ، وكان اختلافُ اللَّهَجَاتِ وتَعَدُّدُهَا في المسألة الواحدة عاملَ ثَرَاءٍ للغَةِ العربية في أساليبها، وفَتْحًا في مجال القول فيها، وتلبيةً لحاجة الْمُتَكَلِّمِينَ بها، فمن احتاج في بعض كلامه إلى استعمالٍ جارٍ على لهجة بعض الفصحاء؛ لِيُقِيمَ وَزْنَ الْبَيْتِ، أو يُحافِظَ على القافية، أو يَحْصُلَ على السَّجْعَةِ – فلا حَرَجَ عليه في ذلك، وليس بِمَلُومٍ إنْ نَسَجَ على مِنْوَالِهِ، ورحم الله – عَزَّ وجَلَّ – فقيه العربية البارع ابن جني؛ فقد قال في آخر (باب اخْتِلافِ اللُّغَاتِ وكُلُّهَا حُجَّةٌ): " وَكَيْفَ تَصَرَّفَتِ الْحَالُ فَالنَّاطِقُ عَلَى قِيَاسِ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ مُصِيبٌ غَيْرُ مُخْطِئٍ، وإنْ كَانَ غَيْرُ مَا جَاءَ بِهِ خَيْرًا مِنْهُ " . (١)

وهاك بعض الظواهر اللغوية الدالة على استناد سيبويه إلى اللهجات العربية في الكتاب، واحْتِكَامِهِ إليها في إثبات القواعد وتنوعها:

---

(١) الخصائص ١/٣٣

الظاهرة الأولى: (إعْمَالُ "مَا" النَّافِيَةِ إعْمَالَ لَيْسَ وإهْمَالُهَا)

إعْمَالُ(مَا) النافية إعْمَالَ (لَيْسَ) قَاعِدَةٌ مبنيَّةٌ على لغة الحجازيين، ومشروطةٌ عندهم بـ: ألاَّ يتقدَّمَ الْخَبَرُ على الاسم، وألاَّ ينتقض نَفْيُ خبرها بـ(إلاَّ)، وألاَّ يَقْتَرِنَ اسمُها بـ(إنْ) الزائدة.

فإنْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ على الاسم، أو انتقض نَفْيُ خبرها بـ(إلاَّ)، أو اقترن اسمُها بـ(إنْ) الزائدة، نحو قولك: ما إنْ سعيدٌ مسافرٌ – بَطَلَ عَمَلُهَا وجوبًا عندهم.

وإهمال (مَا) النافية ظاهرةٌ من الظواهر اللغوية السائدة في مجتمع بنى تميم، فيرفعون بعدها المبتدأ والخبر على الأصل، فيقولون: ما بَكْرٌ قائمٌ ، وقَضَى سيبويه بأَنَّ هذه الظاهرة جارية على القياس؛ لأنَّ الحرفَ إنَّمَا يعمل إذا كان مختصًّا بالاسم كـ: حرف الجر، أو مختصًّا بالفعل كـ: حرف الجزم، وإذا كان يدخل على الاسم والفعل لم يعمل، كـ: هَلْ، وبَلْ، ومَا؛ فلذلك لم يُعْمِلُوا (ما).

وهذا ما عناه سيبويه بقوله: " هذا باب ما أُجْرِيَ مُجْرى لَيْسَ في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يَصيرُ إلى أصله، وذلك الحرفُ " مَا " تقول: ما عبدُ اللهِ أخاك، وما زيدٌ منطلقًا. وأمّا بنو تميم فيُجْرُونَها مُجْرَى أمَّا وهَلْ، أيْ لا يُعْمِلُونَهَا في شيءٍ، وهو الْقِيَاسُ؛ لأنَّهُ لَيْسَ بفِعْلٍ، ولَيْسَ " مَا " كَـ: " لَيْسَ "، ولا يكون فيها إضْمَارٌ.

وأمَّا أهلُ الحجاز فَيُشَبِّهُونَها بلَيْسَ؛ إذْ كان معناها كمعناها... ومثلُ ذلك قوله عزّ وجلّ { مَا هَذَا بَشَرًا } في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يَرْفَعُونَها إلاَّ من دَرَى كيف هي في المُصحَفِ ".(١)

وقوله:" فإذا قلتَ: ما منطلقٌ عَبْدُ الله، أو ما مُسِيءٌ مَنْ أَعْتَبَ، رَفَعْتَ، ولا يجوز أن يكونَ مُقَدَّمًا مثله مؤخرًا ".(٢)

وقوله: "... مَا كَلَيْسَ فى لغة أهل الحجاز ما دامت فى معناها، وإذا تَغَيَّرَتْ عن ذلك، أو قُدّمَ الْخَبَرُ رَجَعَتْ إلى القياس، وصارت اللُّغَاتُ فيها كلغة تميمٍ".(٣)

وقوله : " وأَمَّا إنْ مع مَا في لُغَةِ أهل الحجاز فهي بمنزلة مَا في قولك: إنَّمَا الثقيلة، تجعلها من حروف الابتداء، وتمنعها أن تكونَ من حروف لَيْسَ وبمنزلتها".(٤)

الظاهرة الثانية: (الاسْتِثْنَاءُ الْمُنْقَطِعُ)

الاستثناء المنقطع هو : الأسلوب الذي لا يكون المستثنى فيه من جنس المستثنى منه، نحو: قام الْقَوْمُ إلا خَرُوفًا ، وما قام الْقَوْمُ إلا حمارًا .

---

(١) الكتاب ١/٥٧، ٥٩.

(٢) السابق ١/٥٩.

(٣) السابق ١/١٢٢.

(٤) السابق ٤/٢٢١.

وقد استند سيبويه في وَضْع الحكم الإعرابي لهذا الاستثناء على لغتين تتنازعان الفصاحة، وتَتَجَاذَبَانِ البيان، وهما: لغة أهل الحجاز، ولغة بني تميم.

فالحكم الإعرابي لهذا الاستثناء في لغة أهل الحجاز هو النَّصْبُ على أصل الاستثناء، ومعنى (إلاَّ) فيه: لكنَّ، و(لَكِنَّ) معناها الاستدراك، وهو معنى الاستثناء؛ وذلك لأنَّهُ لا يَصِحُّ فيه الإبدال مما قبله؛ من جهة أنَّ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وهذا هو مراد سيبويه بقوله: " هذا بَابٌ يُخْتَارُ فيه النَّصْبُ؛ لأنَّ الآخرَ ليس من نوع الأول، وهو لغة أهل الحجاز، وذلك قولك: ما فيها أحدٌ إلا حمارًا، جاءوا به على معنى(ولكنَّ حمارًا)، وكَرِهُوا أن يُبْدِلُوا الآخر من الأول، فيصير كأنَّهُ من نوعه؛ فحمل على معنى(ولكنَّ)، وعَمِلَ فيه ما قبله كَعَمَلِ العشرين في الدرهم".(١)

ولبني تميم فى الاستثناء المنقطع وجهان من الإعراب:

أحدهما: النصب على الاستثناء، وهو الراجح عندهم، فيقولون: ما جاءنى أحدٌ إلا حمارًا، بالنصب، فتتفق لغتهم مع لغة أهل الحجاز في هذا الوجه.

والوجه الثاني: جواز الإتباع، فيبدلون المستثنى مما قبله، وذلك مشروط عندهم بصحة إغناء المستثنى عن المستثنى منه، نحو: ما جاءنى أحدٌ إلاَّ حمارٌ، بالرفع.

---

(١) الكتاب ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ .

ولهذا الرفع تخريجان:

أحدهما: أنَّ ذلك محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ المرادَ هو المستثنى، فالمعنى فى المثال: ماجاءنى إلا حمارٌ، وذُكِرَ (أَحَدٌ) قبله توكيدًا؛ ليُعْلَمَ أنَّ الجائيَ ليس بآدميٍّ، ثم أُبْدِلَ منه ما كان مرادًا، وهو الحمار.

والثانى: أن يُجْعَلَ الحمارُ يقوم مقام الجائي من الآدميين مجازًا؛ لحلوله محلَّهُ، كما يقال: عتابُك السيفُ، وتحيتُك الضربُ، وذلك أنَّهُ لما كانت العادةُ عند الاجتماع أن يُحَيِّيَ أحد المتقابلين الآخر، فوقع الضَّرْبُ ولم تقع التحية المألوفة، جُعِلَ الضرب تحيَّةَ؛ لوقوعه موقعها. وفي ذلك قال سيبويه: " وأما بنو تميم فيقولون: لا أحدَ فيها إلا حمارٌ، أرادوا: ليس فيها إلا حمارٌ، ولكنَّهُ ذَكَرَ أحدًا توكيدًا؛ لأن يُعْلم أنْ ليس فيها آدميٌّ، ثم أَبدلَ فكأنَّهُ قال: ليس فيها إلا حمارٌ. وإن شِئْتَ جَعَلْتَهُ إنسانَهَا ".(١)

الظاهرة الثالثة: (ضَمِيرُ الْفَصْلِ)

قَرَّرَ سيبويه في (باب ما يكونُ فيه هُوَ وأَنْتَ وأَنَا ونَحْنُ وأخواتُهُنَّ فصلاً) حكمين:

أحدهما : أنَّ ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، أو بين معرفة وما يقاربها من النكرات مما لا تدخله الألف واللام، مع عدم

---

(١) الكتاب ٣١٩/٢، ٣٢٠.

استغناء إحداهما عن الأخرى، وذلك نحو: الابتداء والخبر، واسم كان وخبرها، أو مفعولي ظننت وعلمت وما أشبه ذلك، وباب إنّ(١) .

والثاني: جواز أن يكون ضمير الفصل مبتدأ، وأن يرتفع ما بعده على الخبرية عنه، وهو لغة لكثيرٍ من العرب، نحو قول رؤبة بن العجاج: أظن زيدًا هو خيرٌ منك. قال سيبويه: " وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ، وما بعده مبني عليه فكأنك تقول: أظن زيدًا أبوه خيرٌ منه، ووجدتُ عمرًا أخوه خيرٌ منه.

فمن ذلك أنه بلغنا أنَّ رؤبة كان يقول: أظنُّ زيدًا هو خيرٌ منك.

وحدثنا عيسى أنَّ ناسًا كثيرًا يقرءونها ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢). وقال الشاعر قيس بن ذريح: [من الطويل]

تُبَكِّي عَلَى لُبْنَى وأنْتَ تَرَكْتَهَا وكُنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلاَ أنْتَ أقْدَرُ (٣)

وكان أبو عمرو يقول: إنْ كَانَ لَهُوَ الْعَاقِلُ ".(٤)

---

(١) ينظر: السابق ٣٨٩/٢ ، ٣٩٠ .

(٢) سورة الزخرف – من الآية: ٧٦، وهذه قراءة عبد الله بن أبي إسحاق وأبي زيد النحويين، وهي شاذة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/ ١٣٦، والبحر المحيط ٣٨٨/٩.

(٣) البيت في ديوان الشاعر/٧٦

الظاهرة الرابعة: (حِكَايَةُ لَفْظِ الْعَلَمِ بَعْدَ مَنْ)

حكاية لفظ العلم بعد (مَنْ) لغة العرب الحجازيين، ومعناها: أن يُجْرِيَ الْمُتَكَلِّمُ الاسْمَ على إعراب الاسم المتقدم ذكره في كلام رجلٍ آخر، فإذا قال الرَّجُل: جاءنى بكرٌ، قُلْتَ فى جوابِهِ مستثبتًا: مَنْ بكرٌ؟ وإذا قال: رأيتُ بكرًا، قُلْتَ: مَنْ بَكْرًا؟ وإذا قال: مررت ببكرٍ، قُلْتَ: مَنْ بكرٍ؟.

وعدم الحكاية مطلقًا، ووجوب رفع ما بعد (مَنْ) على كلِّ حال، سواء أكان ما قبله فى كلام المخاطب مرفوعًا، أم منصوبًا، أم مجرورًا – لغة بنى تميم، تقول لمن قال: قام بكْرٌ: مَنْ بكْرٌ؟ ولمن قال: رأيْتُ بكرًا: مَنْ بَكْرٌ؟ لمن قال مررت ببَكْرٍ: مَنْ بكرٌ؟ بالرفع فى الأحوال الثلاثة، والاسم الواقع بعد (مَنْ) عندهم مبتدأ خبره (مَنْ)، أو خبر مبتدؤه (مَنْ). (١)

وهذا هو مفهوم قول سيبويه في (باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا اسْتَفْهَمْتَ عنه بِـ: مَنْ): " اعلم أنَّ أهلَ الحجاز يقولون إذا قال الرَّجُل: رأيتُ زيدًا: مَنْ زيدًا ؟ وإذا قال: مررتُ بزيدٍ قالوا: مَنْ زيدٍ ؟ وإذا قال: هذا عبدُ الله قالوا: مَنْ عبدُ الله ؟

---

(٤) الكتاب ٣٩٢/٢ ، ٣٩٣ .

(١) ينظر: الكتاب ٤١٣/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك ١٣٥٠/٣، وشرح الأشمونى ٩١/٤.

وأمَّا بنو تميم فيرفعون على كلِّ حال، وهو أقيسُ القولين.

... فجاز هذا في الاسم الذي يكون عَلَمًا غالبًا على ذا الوجه، ولا يجوز في غير الاسم الغالب كما جاز فيه؛ وذلك أنَّهُ الأكثر في كلامهم، وهو العلم الأوَّل الذي به يتعارفون".(١)

واعتماد سيبويه على لغة الحجازيين وبني تميم في قواعد الكتاب اعتمادٌ كبيرٌ؛ إذ كانوا في محيط كتابه كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، ما ذَكَرَ حُكْمًا نَحْويًّا، أو مَذْهَبًا لُغَوِيًّا للحجازيين إلاَّ وَجَدْنَاهُ يُثْبِتُ حُكْمًا نَحْويًّا آخر، أو مَذْهَبًا لُغَوِيًّا مُغَايِرًا لبني تميمٍ، وهذا يُعَدُّ فَتْحًا في مجال القول العربيّ أمام الناطقين، يزيد الاستعمالَ اللُّغَوِيَّ سَعَةً عَلَى سَعَتِهِ، ويَضُمُّ أُفُقًا إلى أُفُقِهِ؛ وفاءً بحاجاتنا، وتلبيةً لأغراضنا؛ وقَضَاءً لِمَآربِنَا.

الظاهرة الخامسة: (إِسْنَادُ الْفِعْلِ الْمُضَاعَفِ إِلَى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ الْمُتَحَرِّكَةِ)

قَرَّرَ سيبويه أنَّ فكَّ الإدغام عند إسناد الفعل المضاعف إلى ضمائر الرفع المتحركة جارٍ على ألسنة أهل الحجاز وغيرهم؛ لأنَّ ما قبل هذه الضمائر لا يكون إلا ساكنًا عندهم، فوجب الْفَكُّ حتى لا

---

(١) الكتاب ٤١٣/٢.

يلتقى ساكنان صحيحان، فهم مجتمعون على أن يقولوا: رَدَدْتُ ومَدَدْتَ، وظَلِلْتَ، ورَدَدْنَا، ومَدَدْنَا، وظَلِلْنَا، والهندات رَدَدْنَ، ومَدَدْنَ، وظَلِلْنَ، وهن يَرْدُدْنَ، ويَمْدُدْنَ، ويَظْلَلْنَ، وارْدُدْنَ، وامْدُدْنَ، واظْلَلْنَ.(١)

ونَقَلَ أنَّ الإدغامَ جارٍ على ألسنة قوم من العرب، هم بعض بكر بن وائل، فقال: " وزعم الخليل أنَّ ناسًا من بكر بن وائل يقولون: رَدَّنَ ومَدَّنَ، ورَدَّتُ، جعلوه بمنزلة رَدَّ ومَدَّ ".(٢)

الظاهرة السادسة: (إبْدَالُ الْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ جيمًا)

ذكر سيبويه أنَّ بني سعد بن بكر يبدلون الجيم مكان الياء المشددة في الوقف، وفي ذلك قال:" وأما ناسٌ من بني سعدٍ فإنَّهُم يُبْدِلُون الْجِيمَ مكان الياء في الوقف؛ لأنَّهَا خَفِيَّةٌ فأبدلوا من موضعها أَبْيَنَ الحروف. وذلك قولهم: هذا تَمِيمِجٌّ، يريدون: تَمِيمِيٌّ، وهذا عَلِجٌّ، يريدون: عَلِيٌّ، وسَمِعْتُ بَعْضَهُم يقول: عَرَبَانِجٌّ، يريد: عَرَبَانِيٌّ، وحَدَّثَنِي من سمعهم يقولون :

خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجّْ

الْمُطْعِمَانِ الشَّحْمَ بِالْعَشِجّْ

وَبِالْغَدَاةِ فِلَقَ الْبَرْنِجّْ

(١) ينظر: السابق ٣/٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) السابق ٣/٥٣٥ ، وينظر: ٤/١٠٧.

يريد: بالْعَشِيّ، والْبَرْنِيّ، فزعم أنَّهُم أنشدوه هكذا ".(١)

الظاهرة السابعة: (الْوَقْفُ عَلَى الاسْمِ الْمَقْصُورِ)

عرض سيبويه خَمْسَ لهجاتٍ واردة عن العرب فى الوقف على ألف المقصور، دونَكَ بَيَانَهَا:

اللهجة الأولى: إثبات الألف على حالها وصورتها دون إبدال، وهى أشهر اللغات، وأكثرها وأعرفها، تقول: هذه حُبْلَى، ورأيتُ حُبْلَى، ومررتُ بحُبْلَى، وهذا فَتَى، ورأيتُ فَتَى، ومررتُ بفَتَى(٢).

اللهجة الثانية: قلب ألف المقصور الموقوف عليها ياءً فى الأحوال الثلاثة: الرفع، والنصب، والجر، سواء أكانت هذه الألف للتأنيث، نحو: حُبْلَى، أم كانت لغيره، نحو: مُثَنًّى، فيقولون فى الوقف: هذه حُبْلَيْ، وهذا مُثَنَّيْ، ورأيتُ حُبْلَيْ ومُثَنَّيْ، ومررتُ بحُبْلَيْ ومُثَنَّيْ.

وسبب قلبها ياءً؛ أنَّ الأَلفَ خفيةٌ، وهى أَدْخَلُ فى الحلق، قَرِيبَةٌ من الهمزة، والياء أَبْيَنُ منها؛ لأنَّها من الفم، وهذا هو مضمون قول سيبويه: "هذا باب الحرف الذى تُبدل مكانَهُ فى الوقف حرفًا أَبْيَنَ منه يُشبِهه؛ لأنَّهُ خَفِي... وذلك قول بعض العرب فى أَفْعَى: هذه أَفْعَيْ، وفى حُبْلَى: هذه حُبْلَيْ، وفى مُثَنًّى: هذا مُثَنَّيْ.

---

(١) الكتاب ١٨٢/٤

(٢) ينظر: السابق ١٨١/٤.

فإذا وصلتَ صَيَّرتَها ألفًا، وكذلك كلُّ ألف فى آخر الاسم. حَدَّثنا الخليل وأبو الخطاب أنَّهَا لُغَةٌ لفَزَارة وناس من قيس، وهى قليلة".(١)

اللهجة الثالثة: قلب ألف المقصور ياءً فى الوقف مع الإبقاء عليها فى الوصل؛ إجراءً له مُجْرى الوقف فى اختيار الكلام، وهي لغة طيِّئ، يقولون فى الحالين: أَفْعَيْ، وحُبْلَيْ، ومُثَنَّيْ بالياء؛ لأنَّ الألفَ خَفِيَّةٌ، فأبدلوا منها الياءَ؛ لأنَّها أبْيَنُ منها. قال سيبويه: " وأمَّا طيِّئٌ فزعموا أنَّهُم يَدَعُونها فى الوصل على حالها فى الوقف؛ لأنَّهَا خَفِيَّةٌ لا تُحَرَّك، قريبةٌ من الهمزة. حدَّثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب" .(٢)

اللهجة الرابعة: قلب الألف واوًا فى الوقف، والإبقاء عليها فى الوصل؛ إجراءً له مجرى الوقف فى سَعة الكلام؛ لأنَّ الواوَ أبينُ من الياء، والقصد البيان؛ إذ الياء أدخل فى الفم؛ لكونها من وسط اللسان، فكانت أخفى من الواو؛ لكونها من الشفتين. قال سيبويه: "وزعموا أن بعض طيِّئ يقول: أَفْعَوْ؛ لأنها أبينُ من الياء، ولم يجيئوا بغيرها؛ لأنها تُشبه الألف فى سَعَة المخرج والمدِّ؛ ولأن الألف تُبدَل

---

(١) الكتاب ١٨١/٤.

(٢) السابق ١٨١/٤.

مكانَها كما تُبدل مكانَ الياء، وتُبْدَلان مكانَ الألفِ أيضًا، وَهُنَّ أَخَواتٌ".(١)

اللهجة الخامسة: قلب الألف الموقوف عليها همزة؛ لأنَّ الهمزة أخت الألف، والهمزة إذا كان ما قبلها متحركًا كانت أبينَ من الألف. وهى لغة لبعض الْعَرَبِ، يقولون: هذه أَفْعَأْ وحُبْلأْ، ورأيتُ أَفْعَأْ وحُبْلأْ، ومررتُ بأَفْعَأْ وحُبْلأْ . نَصَّ سيبويه على أنَّ الخليل حكى ذلك عن بعض العرب، ولم يُعَيِّنْهم(٢) وإذا وصلوا لم يفعلوا ذلك.

(١) السابق ٤/١٨١، ١٨٢.

(٢) ينظر: السابق ٤/١٧٦.

الظاهرة الثامنة: (إجْرَاءُ الْقَوْلِ وفُرُوعِهِ مُجْرَى الظَّنِّ وفُرُوعِهِ فِي الْعَمَلِ)

قَرَّرَ سيبويه في هذه الظاهرة مذهبين عربيين:

المذهب الأول: إذا وَقَعَ بعد القولِ وفروعِهِ جملةٌ فإنَّهَا تُحْكَى به على حالها عند جمهور العرب، وتكون فى موضع النصب على المفعولية، نحو: قال مُحَمَّدٌ: عَمْرٌو مُنْطَلِقٌ، وتقول: عَمْرٌو مُنْطَلِقٌ.

ويجوز إجراؤه مجرى الظنِّ، فينصب المبتدأ والخبر مفعولينِ، كما تنصبهما(ظَنَّ)، وذلك بأربعة شروط:

أحدها: أن يكن القول فعلاً مضارعًا. والثانى: أن يكون المضارع مبدوءًا بتاء الخطاب. والثالث: أن يكون واقعًا بعد استفهام بحرف أو اسم.

الرابع: أن يكون الاستفهام متصلاً بالفعل، أو منفصلاً عنه بظرف، أو جار ومجرور، أو مفعول، فالفصل بالظرف نحو: أقدَّامَك تقول بكرًا جالسًا ؟ وبالجار المجرور نحو: أَبالسَّوْطِ تقول بكرًا ضاربًا ؟ وبأحد المفعولين، نحو: أبكرًا تقول منطلقًا.

وهذا هو مفهوم قول سيبويه: " واعْلَمْ أنَّ (قُلْتُ) إنَّمَا وَقَعَتْ فى كَلامِ الْعَرَبِ على أنْ يُحْكَى بها، وإنَّمَا تَحْكِي بعد الْقَوْلِ ما كان كلامًا لا قولاً، نحو: قُلْتُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ؛ لأنَّهُ يَحْسُن أنْ تَقُول: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، ولا تُدْخِل قُلْتُ. وما لم يكن هكذا أسقط القول عنه.

وتقول: قَالَ زَيْدٌ إنَّ عَمْرًا خَيْرُ النَّاسِ، وتَصْدِيقُ ذلك قَوْلُهُ – جَلَّ ثناؤه –: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ (١)، ولولا ذلك لقال: أَنَّ الله.

وكذلك جميع ما تصرَّفَ من فعله إلاَّ (تَقُولُ) فى الاستفهام شَبَّهُوها بـ(تَظُنُّ)، ولم يجعلوها كَـ(يَظُنُّ، وأَظُنُّ) في الاستفهام؛ لأنَّهُ لا يَكَادُ يُسْتَفْهَمُ الْمُخَاطَبُ عن ظنِّ غيره، ولا يُسْتَفْهَم هُوَ إلاَّ عن ظَنِّهِ، فإنَّمَا جُعِلَتْ كـ(تَظُنُّ)، كما أنَّ (مَا) كَـ(لَيْسَ) فى لغة أهل الحجاز ما دامت فى معناها، وإذا تَغَيَّرَتْ عن ذلك أو قُدِّمَ الْخَبَرُ رَجَعَتْ إلى القياس، وصارت اللُّغَاتُ فيها كلغة تميمٍ .

ولم تُجْعَلْ (قُلْتُ) كَـ(ظَنَنْتُ)؛ لأنَّها إنَّما أَصْلُها عندهم أنْ يَكُونَ ما بعدها مَحْكِيًّا، فلم تُدْخَلْ فى باب (ظَنَنْتُ) بأَكْثَرَ من هذا، كما أنَّ (مَا) لم تَقْوَ قوَّة لَيْسَ، ولم تَقَعْ فى كلِّ مواضعها؛ لأنّ أَصْلَهَا عندهم أنْ يَكُونَ ما بعدها مبتدأ ... وذلك قولك: مَتَى تَقُولُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا ؟ وأَتَقُولُ عَمْرًا ذَاهِبًا ؟ وأَكُلَّ يَوْمٍ تَقُولُ عَمْرًا مُنْطَلِقًا ؟ لا يُفْصَل بِهَا كَمَا لم يُفْصَلْ بِهَا في أَكُلَّ يَوْمٍ زَيْدًا تَضْرِبُهُ ؟

فإنْ قُلْتَ: أَأَنْتَ تَقُولُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ؟ رَفَعْتَ؛ لأنَّهُ فُصِلَ بينه وبين حرف الاستفهام، كما فُصِلَ فى قولك: أَأَنتَ زَيْدٌ مَرَرْتَ بِهِ، فَصَارَتْ بمنزِلة أخواتها، وصَارَتْ على الأصل . قال الْكُمَيْتُ :[من الوافر]

(١) سورة آل عمران – من الآية:٤٢

أجُهَّالاً تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَعَمْرُ أبِيكَ أمْ مُتَجَاهِلِينَا(١)

وقال عُمَرُ بْنُ أبى ربيعة : [من الكامل]

أمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا(٢)

وإن شِئْتَ رَفَعْتَ بِمَا نَصَبْتَ فَجَعَلْتَهُ حِكَايَةً ". (٣)

والمذهب الثاني: جَرَى على ألسنة الناطقين في مجتمع بنى سُلَيْم إجْرَاءُ الْقَوْلِ وفُرُوعِهِ مُجْرَى الظَّنّ وفُرُوعِهِ فِى العمل، فنصبوا المبتدأ والخبر مطلقًا بلا شرطٍ، ولا قَيْدٍ، فقالوا: قُلْتُ بكرًا قائمًا، كما يقولون: ظَنَنْتُ بكرًا قائمًا. وفي ذلك قال سيبويه: "وزعم أبو الخطاب – وسألته عنه غير مرة – أنَّ ناسًا من العرب يُوثَقُ بعربيتهم، وهم بنو سُلَيْم، يجعلون بابَ قُلْتُ أَجْمَعَ مثل ظَنَنْت ".(٤)

الظاهرة التاسعة: (إبْدَالُ كَافِ الْمُؤَنَّثِ شِينًا)

في (باب الكاف التي هي علامة المضمر) ذكر سيبويه أنَّهَا في التَّأْنِيثِ مكسورةٌ، وفي الْمُذَكَّرِ مفتوحةٌ، وذلك قولك: رَأَيْتُكِ

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٣٩٥

(٢) البيت في ديوان الشاعر/٣٩٣

(٣) الكتاب ١/١٢٢- ١٢٤.

(٤) الكتاب ١/١٢٤.

للْمَرْأَة، ورَأَيْتُكَ للرَّجُل، وكذلك التاء التي هي علامة الإضمار، تقول: ذَهَبْتِ للمؤنث، وذَهَبْتَ للمذكر.

ثم أثبت مذْهَبًا عربيًّا في كافِ المؤنث لناسٍ من تميم وناسٍ من أَسَد، فقال: " فأمَّا نَاسٌ كَثِيرٌ من تميم ونَاسٌ من أَسَد فإنَّهُمْ يَجْعَلُونَ مكانَ الْكَافِ للمؤنث الشينَ. وذلك أنَّهُمْ أرادوا البيانَ في الْوَقْفِ؛ لأنَّهَا ساكنةٌ في الوقف، فأرادوا أنْ يَفْصِلُوا بين المذكَّر والمؤنَّث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنَّهُم إذا فَصَلُوا بين المذكَّر والمؤنَّث بحرفٍ كان أقْوَى من أنْ يَفْصِلُوا بحركةٍ، فأرادوا أنْ يَفْصِلُوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرفِ، كما فَصَلُوا بين المذكَّر والمؤنَّث بالنُّونِ حين قالوا: ذَهَبُوا وذَهَبْنَ، وأَنْتُمْ وأَنْتُنَّ، وجَعَلُوا مكانَهَا أَقْرَبَ ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنَّهَا مهموسةٌ، كما أنَّ الْكَافَ مهموسةٌ، ولم يَجْعَلُوا مكانَهَا مهموسًا من الْحَلْقِ؛ لأنَّهَا ليست من حروف الْحَلْقِ، وذلك قولك: إنَّشِ ذاهبة، ومَالَشِ ذاهبة، تُرِيدُ: إنَّكِ، ومَالَكِ ". (١)

الظاهرة العاشرة: (تَخْفِيفُ بِنَاءِ الثُّلَاثِيِّ الْمُجَرَّدِ)

قَضَى سيبويه بأنَّ الأصل فى كلام العرب أنْ يكونَ الحرفُ الثانى من الثلاثيِّ المجرَّدِ مُتَحَرِّكًا، سواء فى ذلك الاسم والفعل، وأنَّهُ قد تفرَّع تَسْكِينُهُ عن هذا الأصل فى لغة تُعْزَى إلى بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم، فقال: " هذا باب ما يسكن استخفافًا وهو

(١)الكتاب ٤/١٩٩.

في الأصل متحرك، وذلك قولهم في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفي الرَّجُل: رَجْلٌ، وفي كَرُمَ الرَّجُلُ: كَرْمَ، وفي عَلِمَ: عَلْمَ، وهي لُغَةُ بكر بن وائلٍ، وأُناسٍ كثير من بني تميم". (١)

الظاهرة الحادية عشرة: (نِعِمَ) بكسر النون والعين

ذكر سيبويه لغة هُذَيْل في (نِعْمَ)، وهي: نِعِمَ بكسر النون والعين، حين قال: " وأما قول بعضهم فى القراءة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ فحرَّكَ العين فليس على لغة من قال: نِعْمَ فأسكن العين، ولكنَّهُ على لغة من قال: نِعِمَ فحَرَّكَ العين. وحدَّثنا أبو الخطاب أنَّهَا لغة هُذَيْل، وكَسَرُوا كما قالوا: لِعِبٌ ".(٢)

الظاهرة الثانية عشرة: (جَمْعُ فَعْلَةٍ مُعْتَلَّةِ الْعَيْنِ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ)

المشهور فى كلام العرب تسكين عين فَعْلَة فى الجمع إذا كانت معتلة، فيقال: لَوْزَةٌ ولَوْزاتٌ، وجَوْزَةٌ وجَوْزَاتٌ، وبَيْضَةٌ وبَيْضَاتٌ.

وأمَّا هُذيل فيُتبعون الْعَيْنَ الْفَاءَ فى الفتح، كما يفعلون مع جميع العرب فى فَعْلَة الصحيحة، فيقولون: لَوَزَاتٌ، وجَوَزَاتٌ، وبَيَضَاتٌ بفتح الواو والياء، ولا تقلبانِ ألفًا؛ لعروض الحركة عليهما.

(١) الكتاب ٤/ ١١٣.

(٢) السابق ٤/٤٣٩، ٤٤٠.

وقد يَجْمَع العربُ المؤنَّثَ الخالي من تاء التأنيث كما يجمعون ما فيه التاء، وإذا كان معتلاً نَطَقُوا به على منهاج هُذَيل، وفي ذلك قال سيبويه: " وقد يَجْمعون المؤنَّث الذي ليست فيه هاءُ التَّأنيث بالتاءِ، كما يجمعون ما فيه الهاءُ؛ لأنه مؤنَّثٌ مِثْلُهُ. وذلك قولهم: عُرُسَاتٌ، وأَرَضَاتٌ، وعِيرٌ وعِيَرَاتٌ حَرَّكُوا الياءَ، وأجمعوا فيها على لُغَةِ هُذَيْلٍ؛ لأنَّهُم يقولون: بَيَضَاتٌ وجَوَزَاتٌ ".(١)

(تَقْرِيرٌ)

هذا الذي ذكرته غيضٌ من فيضٍ، وقَطْرٌ من بحرٍ؛ فإنَّك لو أمعنت النظر في الكتاب، وانتقلت من باب إلى باب لوجدت الكتاب يعج باللهجات العربية عجًّا، بل إنَّ فيه أبوابًا قائمة على اللهجات المتعددة، مثل:

- (باب ما أُجْرَى مُجْرَى لَيْسَ في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يَصِيرُ إلى أصله). (٢)

- (باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمت عنه بمن). (٣)

---

(١) الكتاب ٣/٦٠٠.

(٢) السابق ١/٥٧

(٣)الكتاب ٢/٤١٣

- (باب ما تَكْسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كَسَرْتَ ثاني الحرف حين قُلْتَ: فَعِلَ، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعْلَمُ ذاك، وأنا إعْلَمُ، وهي تِعْلَمُ، ونحن نِعْلَمُ ذاك).(١)

- (باب ما تُمَال فيه الألفات).(٢)

- (باب الوقف في أواخر الْكَلِم الْمُتَحَرِّكة في الوصل).(٣)

- (باب الوقف في الهمز).(٤)

- (باب الحرف الذي تُبْدِل مكانَهُ في الوقف حرفًا أبْيَنَ منه يُشْبِهُهُ؛ لأنَّهُ خفيٌّ، وكان الذي يُشْبِهُهُ أولى، كما أنَّك إذا قلْتَ: مُصْطَفَيْنَ جئتَ بأشبه الحروف بالصَّاد من موضع التاء، لا من موضعٍ آخر).(٥)

وبذلك يتضح لكلِّ ذي فَهْمٍ أنَّ الذين يرمون سيبوَيْهِ بأشياءَ لم يفعلْهَا، وينسبون إليه أمورًا لم يعملْهَا، بل يُكَذِّبُهَا كِتَابُهُ - لم يَعْرِفُوا الطَّرِيقَ إلى الْكِتاب، وإن كانوا متخصصين؛ لأنَّ الْعَجزَ عن فَهْمِ

---

(١) السابق ٤/١١٠

(٢) السابق ٤/١١٧

(٣) الكتاب ٤/١٦٦

(٤) السابق ٤/١٧٧

(٥) السابق ٤/١٨١

التُّرَاثِ والتَّعَامُلِ معه انْحَرَفَ بهم عن طريقه إلى الْكُتُبِ الْمُحْدَثة، وكتابات بعض المستشرقين المغرضة، فَرَضُوا بها، واطْمَأَنُّوا إليها، فما كان منهم إلَّا الْهُجُوم على سيبويه، والتنفير من كتابِهِ.

وفي رأيي أنَّ من يريد النيل من سيبويه وكتابه في كل زمان ومكان مُدَمِّرٌ نفسَهُ بنفسه، ومُحَطِّمُها على صخرةِ سيبويه العاتية، ويُمَثِّله قول الأعشى الكبير: [من البسيط]

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ (١)

إنَّ الْحُكْمَ على الشيءِ يجب أن يَكُونَ فَرْعًا عَنْ تصوره؛ ولذلك لا يرضى أهل العلم بالأقوال المرسلة لبعض دعاة الحداثة؛ إذْ يرونها منكرًا من الْقَوْلِ وزورًا. ومنها:

- قول أحدهم: (إنَّ كتاب سيبوَيْهِ ليس كتاب قواعد نحوية وصرفية).

- قول قائلهم: (إنَّ سيبوَيْهِ ارتضى لنفسه مَنْهَجَ الافتراض في وَضْعِ القواعد).

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٦١

الأسَاسُ الثَّالِثُ

(التَّأَكُّدُ مِنْ فَصَاحَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُم الْمَادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ)

لقد بلغ من دقة علماء البصرة – ومن بينهم سيبويه – في نقل المادة اللغوية من شعرٍ ونثرٍ أنَّهُم ابتدعوا طريقتين للتمييز بين العربيِّ الخالص الذي لم يختلط بمن يُفْسِدُ عليه لُغَتَهُ من الأعاجم، وبين العربيِّ المختلطِ بغيره، هاك بيانهما:

الطريقة الأولى: قراءة المظهر، فقد كان العربيُّ الخالص ابنُ البادية يُفضِّل الْخُشُونَةَ في العيش، ويَظْهَرُ منه الْجَفَاءُ في الطَّبْعِ، على عكس الحضريّ في ذلك؛ فقد عَرَفَ التَّرَفَ في الْعَيْش، ورَخَاءَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ، فَلانَ جِلْدُهُ.

ولأجل ذلك وجدنا نحويي البصرة يفتخرون على نحويي الكوفة في صِحَّةِ الْمَذْهَبِ، وقُوَّةِ الْقَوَاعِدِ، وجَوْدَةِ الشَّوَاهِدِ، فيقولون: (نحنُ نأخذ اللُّغَةَ عن حَرَشَةِ الضِّبَاب وأَكَلَة اليَرَابِيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشَّوَاريز والْكَوَاميخ).(١)

ومرادهم بذلك: أنَّهُم أخذوا النحو والصرف واللغة عن العرب الخلَّص أهل البوادي المعروفين بِخُشُونَةِ الْعَيْشِ، وجَفَاءِ الطَّبْعِ.

---

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي ١/ ٢٨١، ونشأة النحو /١٤٠

وأنَّ الكوفيين أخذوا ذلك عن أهل الحضر الذين عاشوا في المدن، ولانَ جِلْدُهُم، وعرفوا الترف والرفاهية، ورخاء الطعام والشراب.

ومما يؤيد ذلك قول الأصمعيّ اللغوي البصري: لا يقال إلا فلانة زوج فلانٍ، ومن قال: فلانة زوجة فقد أخطأ. فقال له رجلٌ: أليس قد قال ذو الرمة: [من الطويل]

أذُو زَوْجَةٍ فِي الْمِصْرِ أوْ ذُو خُصُومَةٍ أرَاكَ لَهَا بالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا ؟(١)

فقال: ذو الرمة أَكَلَ المالح والبقل في حوانيت البقالين. (٢)

الطريقة الثانية: إجراءُ مقابلةٍ للاختبار، والتأكد من السَّلامة اللغوية؛ فقد كانوا يقابلون الرَّجُلَ العربيَّ، ويُلْقون على مسامعه كلامًا ملحونًا، فإنْ فَهِمَهُ عَرَفُوا أنَّهُ حَضَرِيٌّ غيرُ خالصٍ في لغته، وأنَّهُ يتكلف البداوة، ويصطنعها؛ فيتركونَ الأَخْذَ عنه، ويَجْتَنِبُونَهُ.

وإن لم يَفْهَمْهُ عَرَفُوا أنَّهُ فصيحُ اللِّسَانِ، سَلِيمُ السَّلِيقَةِ، صَادِقُ الطَّبْعِ؛ فيأخذونَ عنه، ويَقْتَرِبُونَ منه؛ وذلك لاقتناعهم أنَّ العربيَّ الخالصَ لا يفهم الكلامَ الملحون.(٣)

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٤٥٢

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين / ١٨٢

(٣) ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي ١/ ٢٦٣، ٢٦٤

وما وَجَدَ أئمة العربية ورواتها متعة سمعية، ولا استشعروا لذة وقتية، ولا نالوا غذاءً روحيًّا، كالذي يجدونه حين كانوا يستمعون كلام الفصحاء، وأحاديث البلغاء. قال الجاحظ: " وأنا أقول: إنَّهُ ليس في الأرض كلامٌ أمتعُ ولا آنَقُ ولا أَلَذُّ في الأسماع، ولا أشَدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفْتَقُ للِّسَان، ولا أجْوَدُ تقويمًا للبيان، من طول استماعِ حديثِ الأعرابِ العقلاءِ الفصحاءِ، والعلماءِ البلغاء ".(١)

(١) البيان والتبيين ١/ ١٤٥

الأسَاسُ الرَّابِعُ

(التَّحَقُّقُ مِنْ ثِقَةِ الرَّاوِي اللُّغَوِيّ وصِدْقِ رِوَايَتِهِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الْعَرَبِ)

لقد شَافَهَ سِيبَوَيْهِ كثيرًا من الأعراب مشافهةً حقيقيةً مباشرةً، وسَمِعَ منهم، وكان لا يَأْخُذُ بكلِّ كلامٍ يَسْمَعُهُ أو يُنْقَلُ إليه، بل لا يأخذ إلا من العربيّ الموسوم بالفصاحة، أو الناقل المنعوت بالثقة.

فالسُّؤَال عن مَصْدَر الكلام المسموع لا بُدَّ منه قبل أَخْذِهِ، وأما الكلام المنقول فلا بُدَّ من مَعْرِفَةِ حالِ نَاقِلِهِ، من حَيْثُ الصِّدْقُ والْكَذِبُ، وهذا نَظِيرُ ما فَعَلَهُ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ مَعَ رُوَاةِ الأحاديث.

وهو أمرٌ من صميم الدِّين، فقد أمر الله – تعالى – بالتثبت والتبين من الأقوال والأخبار التي تنقل، إذ ليس كلُّ ما يقال صدقًا، بل فيه الصِّدْقُ والْكَذِبُ، وليس كلُّ ما يسمع يقال؛ ولذا جعل الله – جل جلاله – نقلَ الأخبار والأقوال دون تثبتٍ وتبينٍ موجبًا للفسق، فقال – عز وجل –:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾.(١)

وسيبويه عاش في قرون الخيريَّة، وكان في بداية حياتِهِ العلمية طالبَ حديثٍ على يد شيخه حمَّاد بن سلمة المحدث اللغويّ، ولعله سمع منه قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: " كَفَى بِالْمَرْءِ

(١) سورة الحجرات – الآية: ٦.

كَذِبًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ ".(١)

وقَدْ كان عَمَلُهُ خالِصًا لوجه الله – جل وعلا – رجاءَ الأجْرِ منه؛ فما ابْتَغَى بعِلْمِهِ جَاهًا، ولا نالَ بِهِ مالاً، بل مات في ربيع الشباب، ومُقْتَبَل العمر.

إنَّ سيبوَيْهِ كان يُدْرك تمامَ الإدراكِ أنَّهُ يُقَعِّدُ للغة الذِّكْرِ الحكيم التي تَعَهَّدَ الله – جَلَّ شأنه – بحفظها في حفظ كتابه حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.(٢) فَلِمَ لا يكون هذا حاله مع الرواة والرواية ؟!

ولتأكيد هذا الأساس الذي ذكرناه لا بُدَّ من ذِكْر بعض عبارات سيبويه الناطقة به، وهي:

(أ) قوله: " وسَمِعْنَا من الْعَرَبِ من يقول ممن يُوثَقُ به: اجتَمعتْ أَهْلُ الْيَمَامَةِ؛ لأَنَّهُ يقول في كلامه: اجْتَمَعَتِ الْيَمَامَةُ، يعني: أَهْل الْيَمَامَةِ، فأَنَّث الفِعْلَ في اللفظ؛ إذْ جَعَلَهُ في اللفظ لليمامة، فترك اللفظَ يكونُ على ما يكون عليه في سعَة الكلام ".(٣)

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم عن أبي هريرة في مقدمة صحيحه، ص(٥).

(٢) سورة الحجر – الآية:٩.

(٣) الكتاب ٥٣/١

(ب) وقوله: " ومثلُ ذلك في الإضمار قولُ بعض الشعراء الْعُجَيْر، سمعناه ممّن يوثَقُ بعربِيَّتِهِ: [من الطويل]

إذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ شَامِتٌ وآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ(١)

أضمرَ فيها ". (٢)

(ج) وقوله: " وحدَّثنى مَنْ لا أَتَّهِمُ عن الخليل أَنَّهُ سمع أَعرابيًّا يقول: إذا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِّينَ فإِيَّاهُ وإِيَّا الشَّوَابِّ".(٣)

(د) وقوله: " وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه:[من الطويل]

فَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفُ ". (٤)

(هـ) وقوله: " وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له:كيف أصبحتَ؟ فيقول: حمدُ الله وثناءٌ عليه، كأَنَّهُ يحمله على مضمرٍ في نيته هو المظهر، كأَنَّهُ يقول: أمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه ". (٥)

---

(١) البيت في أمالي ابن الشجري ١١٦/٣

(٢) السابق ٧١/١

(٣) السابق ٢٧٩/١

(٤) السابق ٣٢٠/١

(٥) الكتاب ٣١٩/١

(و) وقوله: " وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: مررتُ برجلٍ هَدَّك من رجلٍ، ومررتُ بامرأةٍ هدَّتْك من امرأةٍ، فجعله فِعْلاً مفتوحًا، كأَنَّهُ قال: فَعَلَ وفَعَلَتْ بمنزلة كَفَاك وكَفَتْك".(١)

(ز) وقوله: " ومن جواز الرفع في هذا الباب أَنِّى سَمِعْتُ رَجُلَيْنِ من الْعَرَبِ عَرَبِيَّيْنِ يَقُولانِ: كانَ عَبْدُ اللهِ حَسْبُكَ بِهِ رَجُلاً".(٢)

(ح) وقوله: " وسَمِعْنَا بَعْضَ الْعَرَبِ يقول: (الْحَمْدُ للهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ) فَسَأَلْتُ عنها يُونُسَ، فَزَعَمَ أَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ ".(٣)

(ط) وقوله: " وزَعَمَ مَنْ نَثِقُ به أَنَّهُ سَمِعَ رؤْبَةَ يقول: هذا غلامٌ لكَ مُقْبِلاً، جَعَلَهُ حالاً، ولم يَجْعَلْهُ من اسم الأوَّل ".(٤)

(ي) وقوله: " وسمعنا الثقة من العرب يقول: يا حَرْمَلْ ، يريد: يا حَرْمَلَهْ".(٥)

---

(١) الكتاب ٤٢٣/١

(٢) السابق ٢٧/٢، ٢٨. فـ(عَبْدُ اللهِ) اسم كان، و(حَسْبُكَ) مبتدأ، و(بِهِ) خبره، و(رَجُلاً) منصوبٌ على التمييز. ولو أجراه على الأول لقال: كانَ عَبْدُ اللهِ حَسْبَكَ بِهِ رَجُلاً، فَنَصَبَ (حَسْبَكَ) خبرًا لـ(كانَ)، و(بِهِ) في موضع الفاعل، والمعنى : كَفَى بِهِ. وإجراء (حَسْبكَ) على الأول أَقْوَى من إجْرَائِهِ على الثاني؛ لأنَّ (حَسْبكَ) مفردٌ يُوصَفُ به. ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣٥٧/٢

(٣) الكتاب ٦٣/٢

(٤) السابق ١١٣/٢

(ك) وقوله: " وحَدَّثَنَا يُونُسُ أنَّ بَعْضَ العرب الموثوق بهم يقولون: مالي إلا أبوك أحَدٌ، فيجعلون أحَدًا بدلاً، كما قالوا: ما مررتُ بمثْلِهِ أَحَدٍ، فجعلوه بدلاً ".(١)

(ل) وقوله: " وزَعَمَ عيسى بن عمر أنَّ ناسًا من العرب يقولون: إذَنْ أَفْعَلُ ذاك، في الجواب فأخبرت يونس بذلك، فقال: لا تُبْعِدَن ذَا، ولم يكن لِيَرْوِيَ إلا ما سَمِعَ، جَعَلُوهَا بمنزلة هَلْ، وبَلْ".(٢)

---

(٥) السابق ٢/٢٤٤

(١) السابق ٢/٣٣٧

(٢) السابق ٣/١٦

الأسَاسُ الْخَامِسُ

(الاعْتِمَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ عَلَى الْكَثِيرِ الْغَالِبِ مِمَّا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ)

حين بَدَأَ اللَّحْنُ يتسرب إلى الكلام، وينتشر على الألسنة حتى سُمِعَ من العرب أهلِ اللغةِ أنفُسِهم، ووَقَعَ في قراءة بعض آيات القرآن الكريم – خاف علماؤنا القدامى على اللغة من تشويه صورتِها، ثم من القضاءِ عليها إن استمر الحال على ما هو عليه، فنهضوا نِهْضَةً عظيمةً إلى جمع اللغة من أفواه الخُلَّص أهل البوادي، فقصدوهم فى أماكنهم النائية الشتيتة في البادية، وظلوا عندهم أوقاتًا مديدةً، يستمعون إليهم جميعًا استماعًا جيّدًا، ويُدَوّنون مسموعهم، سواء أكان الناطقُ طفلاً، أم امرأةً، أم شابًّا، أم شيخًا، حتى أدركوا غايتهم، وجمعوا مادتهم، ثم عكفوا على دراستها وتحليلها؛ من أجل التَّقْعِيدِ، ووَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ، ورَسْمِ الْقِيَاسَاتِ، وسَنِّ الْقَوَانِينَ الضَّابِطَةِ؛ لكي يتعلمَ الصغارُ، ويُوَجَّهَ الكبارُ من العرب وغيرهم، ممن دخلوا في دين الله أفواجًا.

فَجَعَلَ عُلَمَاءُ البصرةِ الْكَثْرَةَ الْمُطْلَقَةَ الْمُتَمَاثِلَةَ من المسموعِ المجموعِ أصلاً يُقاسُ عليه غيره، وعَدُّوا من القليل الذى خالفها شَواذَّ عن القياس، نَطَقَ بها قليلٌ من العرب، لا يجوز القياس عليها، أو نادرًا لا يَكَادُ يُرَى له ثانٍ في الكلام مع محاولةِ إيجادِ تأويلٍ له، أو جَعَلُوهُ من قبيل الضَّرُورةِ الشِّعْرية.

وإن أردت دليلاً على ذلك فَتَدَبَّرْ مَا جَاءَ في طبقاتِ النَّحْوِيّين واللغويين لأبي بكر الزُّبَيْدِيّ: أنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قال لأبي عمرو بن الْعَلاءِ: أَخْبِرْنِي عَمَّا وَضَعْتَ مِمَّا سَمَّيْتَ عَرَبِيَّةً، أَيَدْخُلُ فيه كَلامُ الْعَرَبِ كُلُّهُ ؟ فقال: لا.

قال: كيف تَصْنَعُ فيما خَالَفَتْك فيه الْعَرَبُ، وَهُمْ حُجَّةٌ ؟ فقال: أعْمَلُ على الأكثر، وأُسَمِّي ما خَالَفني لُغَاتٍ .(١)

وتَأَمَّلْ قَوْلَ سيبوَيْهِ: " وزَعَمَ يُونُسُ أَنَّهُ سَمِعَ أعْرَابِيًّا يَقُولُ: ضَرَبَ مَنْ مَنًا، وهذا بَعِيدٌ لا تَكَلَّمُ بِهِ الْعَرَبُ، ولا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ، وكَانَ يُونُسُ إذا ذَكَرَهَا يَقُولُ: لا يَقْبَلُ هَذَا كُلُّ أَحَدٍ ". (٢)

فَلَعَلَّكَ تَلْحَظُ معي مَوْقِفَ سيبوَيْهِ وأستاذه يونس من هذا القول المفرد المسموع من رَجُلٍ أَعْرَابِيٍّ فَصِيحٍ، فقد حَكَمَا عليه بالبعد؛ لعدم وجوده في كلام غيره من العرب، وقَرَّرَا أَنْ لا تُبْنَى عليه قَاعِدَة؛ لأنَّهُ ليس كثيرًا غالِبًا في اسْتِعْمَال النَّاس.

ودُونَكَ أمثلةً على التقعيد من الكتاب:

(الْمِثَالُ الأَوَّلُ)

---

(١) ينظر: طبقاتِ النَّحْوِيّين واللغويين /٣٩

(٢) الكتاب ٢/٤١١

قوله في (باب ما ينتصب فيه المصدرُ كان فيه الألفُ واللامُ أو لم يكن فيه على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُه؛ لأنَّهُ يَصِيرُ فى الإخبارِ والاستفهامِ بدلاً من اللفظ بالفعل، كما كان " الحَذَرَ " بدلاً من " احْذَرْ " فى الأمر، وذلك قولك: مَا أنتَ إلاَّ سَيْرًا، وإنَّما أنتَ سَيْرًا سَيْرًا، وما أنتَ إلاَّ الضَّرْبَ الضَّرْبَ، وما أنتَ إلاَّ قَتْلاً قَتْلاً، فكأنَّهُ قال في هذا كُلِّهِ: ما أنت إلاَّ تَفْعَلُ فِعْلاً): " وأمَّا ما يَنْتَصِبُ فى الاستفهام من هذا الْبَابِ فقولُكَ: أَقِيامًا يا فلانُ والنَّاسُ قُعُودٌ، وأَجُلوسًا والنَّاسُ يَعْدُون، لا يريد أن يُخْبِرَ أنَّهُ يَجْلِس، ولا أنَّهُ قد جَلَسَ وانقضى جُلُوسُهُ، ولكنَّهُ يُخْبِرُ أنَّهُ فى تلك الحال فى جُلوسٍ وفى قيامٍ، وقال الراجز، وهو العجاج :

أطَرَبًا وأنْتَ قِنَّسْرِىُّ(١)

وإنَّمَا أراد: أَتَطْرَبُ، أى: أنت فى حَال طَرَبٍ ؟ ولم يُرِد أن يُخْبِرُ عما مَضَى ولا عمَّا يُستقبَل.

ومن ذلك قول بعض العرب: أَغُدّةً كغُدَّةِ البعير ومَوْتًا فى بيتِ سَلُولِيَّةٍ، (٢)كأَنَّهُ إنَّمَا أراد: أَأُغَدُّ غُدّةً كغُدّة البعير وأَمُوتُ موتًا فى

---

(١) البيت في ديوان الراجز ١/ ٤٨٠

(٢) مثل من أمثال العرب، قاله عامر بن الطفيل. ينظر: مجمع الأمثال للميداني٢/٥٧

بيتِ سَلوليّةٍ، وهو بمنزلة أَطَرَبًا، وتفسيره كتفسيرِه. وقال جريرٌ: [من الوافر]

أعَبْدًا حَلَّ فى شُعَبَى غَرِيبًا ألُؤْمًا لا أبَا لَكَ واغْتِرَابَا (١)

يقول: أَتَلْؤُمُ لُؤْمًا وأَتَغترب اغْتِرَابًا، وحَذَفَ الفعلين فى هذا الباب؛ لأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ بَدَلاً من اللفظ بالفعل، وهو كثيرٌ فى كلام العرب".(٢)

التحليل:

لعلك مُسْتَنْبِطٌ معي من كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – تَأْصِيل سيبويه لقاعدةٍ نحويةٍ. وهي: (قِيَامُ الْمَصْدَرِ الْوَاقِعِ مَفْعُولاً مُطْلَقًا مَقامَ الْفِعْلِ الْعَامِلِ فِيهِ، فَامْتِنَاعُ ذِكْرِ الْفِعْلِ مَعَهُ؛ لِقِيَامِهِ مَقَامَهُ)، وفي الأمثلة والشواهد التي ذكرها جاءت الْمَصَادِرُ في أُسْلُوبِ الْطَّلَبِ الذي طَرِيقُهُ الاسْتِفْهَامُ التَّوْبِيخيّ، ولَها أَفْعَالٌ مستعملةٌ مِن ألفاظها.

فكلٌّ من (قِيامًا، وجُلُوسًا، وطَرَبًا، وغُدَّةً، ومَوْتًا، ولُؤْمًا، واغْتِرَابًا) مصادر منصوبةٌ على المفعولية المطلقة واقعة في أسلوب الطَّلَبِ الذي طريقه الاستفهام التَّوْبِيخيّ، وناصبُها أفعالٌ من لفظها

(١) البيت في ديوان الشاعر/٥٦

(٢) الكتاب ٣٣٨/١

محذوفةٌ وجوبًا، والتقدير: أَتَقُومُ قِيَامًا، وأَتَجْلِسُ جُلُوسًا، وأَأُغَدُّ غُدَّةً، وأَمُوتُ مَوتًا، وأَتَلُؤُمُ لُؤْمًا، وأَتَغْتَرِبُ اغترابًا.

ثانيًا – تمثيله للقاعدة بأمثلةٍ من إنشائه، أجراها على لسان مخاطبه؛ لتتضح القاعدة عنده، وتستقر في ذهنه، وتأمَّل قوله: " وذلك قولك: مَا أنتَ إلاَّ سَيْرًا، وإنَّما أنتَ سَيْرًا سَيْرًا، وما أنتَ إلَّا الضَّرْبَ الضَّرْبَ، وما أنتَ إلاَّ قَتْلاً قَتْلاً، فكأنَّهُ قال في هذا كُلِّهِ: ما أنت إلاَّ تَفْعَلُ فِعْلاً ".

ثالثًا – استناده في تأصيل هذه القاعدة إلى كلام العرب من الشعر والنثر، وتأمل قوله: " وقال الراجز، وهو العجاج :

أطَرَبًا وأنْتَ قِنَّسْرِىُّ

وإنَّمَا أراد: أَتَطْرَبُ، أى: أنت فى حَال طَرَبٍ ؟ ولم يُرِد أن يُخْبِرُ عما مَضَى ولا عمَّا يُستقبَل.

ومن ذلك قول بعض العرب: أَغُدّةً كغُدّة البعير ومَوْتًا فى بيتِ سَلُولِيَّةٍ، كأَنَّهُ إنَّمَا أراد: أَأُغَدُّ غُدّةً كغُدّة البعير وأَموتُ موتًا فى بيتِ سَلوليّةٍ، وهو بمنزلة أَطَرَبًا، وتفسيره كَتَفْسِيرِهِ.

وقال جريرٌ: [من الوافر]

أعَبْدًا حَلَّ فى شُعَبَى غَرِيبًا ... أَلُؤْمًا لا أبَا لَكَ واغْتِرَابَا

يقول: أَتَلؤُمُ لُؤْمًا وأَتَغْتَرِبُ اغْتِرَابًا ".

وقد حَلَّلَ كُلَّ شاهدٍ عقب ذكْرِهِ تحليلاً نحويًّا، وكانت الشواهد متماثلةً في الحكم والتفسير.

رابعًا – جودة تعليله للحكم المتناول، والقاعدة الموضوعة، وهذا ما يبدو من قوله: " وحَذَفَ الفعلين فى هذا الباب؛ لأنَّهُم جَعَلُوهُ بَدَلاً من اللفظ بالفعل، وهو كثيرٌ فى كلام العرب".

(الْمِثَالُ الثَّانِي)

قوله في (باب ما يَنتصب على إضمار الفِعل المتروكِ إظهارُه من المَصادر فى غير الدُّعاء): " من ذلك قولك: حَمْدًا، وشُكْرًا لا كُفْرًا، وعَجَبًا، وأَفْعَلُ ذلك وكَرامةً ومَسَرَّةً ... ولا أَفْعَلُ ذاك ولا كَيْدًا ولا هَمًّا، ولأَفعلنّ ذاك ورَغْمًا وهوانًا. فإنّما يَنتصب هذا على إضمار الفعل، كأَنَّك قلت: أَحْمَدُ الله حمدًا، وأَشكر الله شُكْرًا، وكأَنَّك قلت: أَعْجَبُ عَجَبًا، وأُكْرِمُك كَرامةً، وأَسُرُّك مَسَرّةً، ولا أَكادُ كَيْدًا، ولا أَهُمُّ هَمًّا، وأُرْغِمُك رَغْمًا. وإنّما اختُزِلَ الفعلُ ههنا؛ لأنَّهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل كما فعلوا ذلك فى باب الدُّعاء، كأَنّ قولك: حَمْدًا فى موضع أَحْمَدُ الله، وقولك: عَجَبًا منه فى موضع أَعْجَبُ منه، وقولَه: ولا كَيْدًا فى موضع ولا أَكادُ ولا أَهُمُّ .

وقد جاء بعضُ هذا رفعًا يُبتدأُ ثمّ يُبنَى عليه، وزعم يونسُ أنّ رؤبةَ بنَ العّجاجِ كان يُنْشِدُ هذا البيتَ رفعًا، وهو لبعض مَذْحِجٍ وهو هُنَيُّ بن أَحْمَرَ الْكِنَانِيّ: [من الكامل]

عَجَبٌ لِتلْكَ قَضِيّةً وَإِقَامَتِي فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيّةِ أَعْجَبُ

وسمعنا بعضَ العرب الموثوقَ به يقال له: كيف أَصْبَحْتَ ؟ فيقولُ: حَمْدُ اللهِ وثَنَاءٌ عليه، كأَنَّهُ يَحْمِلُهُ على مُضْمَرٍ فى نِيَّتِهِ هو الْمُظْهَرُ، كأَنَّهُ يقول: أَمْرِي وشَأْنِي حَمْدُ الله وثَنَاءٌ عليه. ولو نَصَبَ لكان الذى فى نفسِهِ الْفِعْلَ، ولم يكن مبتدأً ليُبْنَى عليه، ولا ليكونَ مبنيًّا على شيءٍ هو ما أَظْهَرَ. وهذا مثلُ بيتٍ سمعناه من بعض العرب الموثوق به يَرويه: [من الطويل]

فَقَالَتْ: حَنَانٌ ما أَتَى بِكَ هَاهُنَا أذُو نَسَبٍ أمْ أنْتَ بالْحَيِّ عَارِفُ ؟

لم تُرِدْ: حِنَّ، ولكنها قالت: أَمْرُنَا حَنانٌ، أو ما يُصِيبُنَا حَنَانٌ، وفى هذا المعنى كلّه معنى النصب.

ومثلُه فى أَنَّهُ على الابتداء، وليس علِى فِعْلٍ قَوْلُهُ - عزَّ وجلَّ-:

﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ (١) لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذارًا مستأنَفًا من أمْرٍ لِيمُوا عليه، ولكنَّهُمْ قيل لهم: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ؟ قالوا: مَوْعِظتُنا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُم.

ولو قال رجلٌ لرَجُلٍ: مَعْذِرَةً إِلَى اللهِ وإِلَيْكَ من كَذَا وَكَذَا يريد: اعتذارًا لَنَصَبَ ".(٢)

---

(١) سورة الأعراف - من الآية: ١٦٤، وهي قراءة جمهور القراء. ينظر: النشر ٢/٢٧٢

(٢) الكتاب ١/٣١٨، ٣١٩ ، ٣٢٠

التحليل:

لعلك مُلاحِظٌ معي في كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – تَقْرِيره للقاعدة النَّحْوِيَّةِ السابقةِ من جهة أخرى، معتمدًا في تقريرها على كلام العرب. وهي: (قِيَامُ الْمَصْدَرِ مَقَامَ الفعلِ العاملِ فيه، فيترتب على ذلك امتناعُ ذكره معه؛ لقيامه مقامَهُ)، وفي الأمثلة والشواهد التي ذكرها جاءت المصادر في أساليب خَبَرِيَّةٍ، فالفعل المضمر هنا خبرٌ يخبر به المتكلم عن نفسِهِ، وليس بدعاءٍ على أحَدٍ.

ونَصْبُ هذه الْمَصَادِرِ بِفِعْلٍ محذوفٍ وجوبًا هو الأصل والأكثر في كلام العرب؛ لأنَّها من المصادر التي جيء بها بدلاً من اللفظ بأفعالها، وبه جاءت رواية حفصٍ عن عاصمٍ ﴿ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾، والتقدير: نَعْتَذِرُ مَعْذِرَةً [اعتذارًا].

ورفْعُ هذه المصادر عند قصد الثبوت والدوام، وجَعْلُهَا أخبارًا عن مبتدآت محذوفةٍ وجوبًا؛ حملاً للرفع على النصب – واردٌ في قراءة جمهور القراء، وفي كلام العرب الفصحاء.

ثانيًا – تمثيله للقاعدة بجملٍ من كلامه، ساقها على لسان مخاطبه؛ لإيضاح الوجه الأكثر في كلام العرب، وهو النصب، وتأمَّل قوله: " من ذلك قولك: حَمْدًا، وشُكْرًا لا كُفْرًا، وعَجَبًا، وأَفْعَلُ ذلك وكَرامةً ومَسَرَّةً ... ولا أَفْعَلُ ذاك ولا كَيْدًا ولا هَمًّا، ولأَفعلنّ ذاك ورَغْمًا وهوانًا. فإنّما يَنتصب هذا على إضمار الفعل، كأَنَّك قلت: أَحْمَدُ الله

حمدًا، وأَشكر الله شُكْرًا، وكأَنَّك قلت: أَعْجَبُ عَجَبًا، وأُكْرِمُك كَرامةً، وأَسُرُّك مَسَرّةً، ولا أَكادُ كَيْدًا، ولا أَهُمُّ هَمًّا، وأُرْغِمُك رَغْمًا ".

ثالثًا – استدلاله لوجه الرفع مؤكدًا فصاحة شواهده، مع تحليله للشواهد المذكورة، بقوله: " وسمعنا بعضَ العرب الموثوقَ به يقال له: كيف أَصْبَحْتَ ؟ فيقولُ: حَمْدُ اللهِ وثَنَاءٌ عليه، كأَنَّهُ يَحْمِلُهُ على مُضْمَرٍ فى نِيَّتِهِ هو الْمُظْهَرُ، كأَنَّهُ يقول: أَمْرِي وشَأْنِي حَمْدُ الله وثَنَاءٌ عليه. ولو نَصَبَ لكان الذى فى نفسِهِ الْفِعْلَ، ولم يكن مبتدأً ليُبْنَى عليه، ولا ليكونَ مبنيًّا على شيءٍ هو ما أَظْهَرَ. وهذا مثلُ بيتٍ سمعناه من بعض العرب الموثوق به يَرويه: [من الطويل]

فَقَالَتْ: حَنَانٌ ما أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بالْحَيِّ عَارِفُ ؟

لم تُرِدْ: حِنَّ ، ولكنها قالت: أَمْرُنَا حَنانٌ، أو ما يُصِيبُنَا حَنَانٌ، وفى هذا المعنى كلّه معنى النصب.

ومثلُه فى أَنَّهُ على الابتداء، وليس علِى فِعْلٍ قَوْلُهُ . عزَّ وجلَّ– : ﴿ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ (١) لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذارًا مستأنَفًا من أَمْرٍ لِيمُوا عليه، ولكنَّهُمْ قيل لهم: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ؟ قالوا: مَوْعِظتُنا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبّكُم".

---

(١) سورة الأعراف – من الآية: ١٦٤، وهي قراءة جمهور القراء. ينظر: النشر ٢/٢٧٢

رابعًا – حسن تعليله للقاعدة، وهذا ما يبدو من قوله: " وإنّما اختُزِلَ الفعلُ ههنا؛ لأنَّهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك فى باب الدُّعاء، كأَنّ قولك: (حَمْدًا) فى موضع (أَحْمَدُ الله)، وقولك: (عَجَبًا منه) فى موضع (أَعْجَبُ منه)، وقولَه: (ولا كَيْدًا وَلا هَمًّا) فى موضع (ولا أَكادُ ولا أَهُمُّ)".

خامسًا – حين افترض بعد ذكره قراءة الجمهور، فقال: " ولو قال رجلٌ لرجلٍ: مَعْذِرَةً إلَى اللهِ وإلَيْكَ من كَذَا وَكَذَا يريد: اعتذارًا لَنَصَبَ " – جاء افتراضُهُ مبنيًّا على كلام العرب، وأَكَّدَتْهُ رواية حفصٍ عن عاصمٍ، ولو عَلِمَ بها لَذَكَرَهَا، وليس الرَّجُلُ مُطَالبًا بمعرفة جميع القراءات، وقد كانت تخفى على بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – وحديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وما دار فيه بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام شَاهِدُ صدقٍ على ذلك.(١)

---

(١) أخرجه البخاري في (الخصومات) باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم ٢٢٨٧، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه ، رقم ٨١٨. قال مسلم: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى =

(الْمِثَالُ الثَّالِثُ)

قال في (باب ما ينتصب على التعظيم والمدح): " وإنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ صفةً، فَجَرَى على الأول، وإن شِئْتَ قَطَعْتَهُ فابتدأتَهُ.

وذلك قولك: الْحَمْدُ للهِ الْحَمِيدَ هو، والْحَمْدُ للهِ أهْلَ الْحَمْدِ، والْمُلْكُ للهِ أهْلَ الْمُلْكِ. ولو ابتدأتَهُ فَرَفَعْتَهُ كان حسنًا، كما قال الأَخْطَلُ: [من البسيط]

نَفْسِي فِـدَاءُ أمِيـرِ الْمُؤْمِنِينَ إذَا ... أبْدَى النَّوَاجِذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَـرُ

الْخَائضُ الْغَمْرَ والْمَيْمُونُ طَائرُهُ ... خَلِيفَةُ اللهُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَـرُ(١)

الله عليه وسلم – أَقْرَأَنِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: « أَرْسِلْهُ اقْرَأْ ». فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ= =رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: « هَكَذَا أُنْزِلَتْ » . ثُمَّ قَالَ لِيَ: «اقْرَأْ». فَقَرَأْتُ فَقَالَ: « هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

(١) البيتان في ديوان الشاعر/١٠٣، ١٠٤

وأمَّا الصِّفَةُ فإنَّ كثيرًا من الْعَرَبِ يَجْعَلُونَهُ صفةً فيُتْبِعُونَهُ الأوَّل.

فيقولون: أهْلِ الْحَمْدِ، والْحَمِيدِ هُوَ، وكذلك: الْحَمْدُ للهِ أهْلِهِ: إنْ شئتَ جَرَرْتَ، وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ، وإنْ شئتَ ابْتَدَأْتَ، كما قال مُهَلْهِلٌ: [من الكامل]

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً أخْوَالُنَا وَهُمُ بَنُو الأعْمَامِ(١)

وسَمِعْنَا بَعْضَ الْعَرَبِ يقول: (الْحَمْدُ للهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ) فَسَأَلْتُ عنها يُونُسَ، فَزَعَمَ أنَّهَا عَرَبِيَّةٌ، ومثل ذلك قول الله – عز وجل –: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .(٢) فلو كان كُلُّهُ رفعًا كان جَيِّدًا.

فأما الْمُؤْتُونَ فمحمول على الابتداء.

وقال – جل ثناؤه –: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٧٧

(٢) سورة النساء – من الآية: ١٦٢

عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾(١) ولو رُفِعَ (الصَّابِرِينَ) على أول الكلام كان جيّدًا.

ولو ابتدأتَهُ فرفعتَهُ على الابتداء كان جيّدًا، كما ابتدأْتَ في قوله (والْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)، ونظير هذا النصب من الشعر قول الْخِرْنِق : [من الكامل]

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ(٢)

فَرَفْعُ الطَّيِّبِينَ كَرَفْعِ الْمُؤْتِينَ.

ومثل هذا فى الابتداء قول ابن خَيَّاطٍ الْعُكْلِيّ: [من البسيط]

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ إِلاَّ نُمَيْرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا

الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَدًا وَالْقَائِلُونَ لِمَنْ دَارٌ نُخَلِّيهَا

وزَعَمَ يُونُسُ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: (النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِينَ) فهذا مثل (وَالصَّابِرِينَ).

---

(١) سورة البقرة – من الآية: ١٧٧

(٢) البيتان في ديوان الشاعرة /٤٣

ومِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: الظَّاعِنُونَ والْقَائِلِينَ، فَنَصْبُهُ كنَصْبِ الطَّيِّبِينَ إلاَّ أنَّ هذا شَتْمٌ لهم وذَمٌّ، كما أنَّ الطَّيِّبِينَ مَدْحٌ لهم وتَعْظِيمٌ.

وإنْ شِئْتَ أجْرَيْتَ هذا كُلَّهُ على الاسم الأول، وإنْ شئْتَ ابتدأتَهُ جميعًا، فكان مرفوعًا على الابتداء. كُلُّ هذا جائزٌ في ذين الْبَيْتَيْنِ ومَا أشبههما. كُلُّ ذلك وَاسِعٌ ".(١)

التحليل:

لعلك مُسْتَنْتِجٌ معي من كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – تَقْرِيره لقاعدةٍ نحويةٍ. وهي: (جواز قَطْعُ الصَّفة المراد بها التعظيم والمدح، أو الذَّمّ والشَّتْم عن الموصوف)، وقد تَفَرَّعَ عن هذه القاعدة ثلاثة أوجهٍ من الإعراب:

أحدها: إجراء الصِّفة على الموصوف في إعرابه، وعلى هذا الوجه أكثر العرب، قال سيبويه: " وأمَّا الصِّفَةُ فإنَّ كثيرًا من الْعَرَبِ يَجْعَلُونَهُ صفةً فيُتْبِعُونَهُ الأوَّل ".

والثاني: قَطْعُ الصفة عند إرادة التعظيم والمدح، أو الذَّمّ والشَّتْم، بنصبها على أنَّها مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أذْكُرُ، أو أمْدَحُ، أو أَذُمُّ.

---

(١) الكتاب ٢/٦٢ – ٦٥

والثالث: قَطْعُ الصفة عند إرادة التعظيم والمدح، أو الذَّمّ والشَّتْم، برفعها على أنَّها في كلام مستأنف، فهي خبرٌ لمبتدأ محذوف، تقديره: هُوَ.

ثانيًا – ذكره أمثلة من إنشائه موضحة للقاعدة، وإخراجه لها على لسان مخاطبه قائلاً: " وذلك قولك: الْحَمْدُ للهِ الْحَمِيدَ هو، والْحَمْدُ للهِ أَهْلَ الْحَمْدِ، والْمُلْكُ للهِ أَهْلَ الْمُلْكِ. ولو ابتدأتَهُ فَرَفَعْتَهُ كان حسنًا ".

ثالثًا – استشهاده لهذه القاعدة بآياتٍ من الذكر الحكيم، وأبياتٍ من الشعر العربي الفصيح، وأمثلةٍ من النثر، جاءت بالأوجه الثلاثة المذكورة، أو ببعضها، وذكر أنَّ الشاهد الذي جاء على وجهٍ واحدٍ لو جاء على وجهٍ غيره من الأوجه الجائزة لكان جَيِّدًا.

رابعًا – جواز القياس على هذه القاعدة بأوجهها الثلاثة بلا استثناء، قال: " إنْ شئتَ جَرَرْتَ، وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ، وإنْ شئتَ ابْتَدَأْتَ ". لا حَرَجَ عليك في شيء من ذلك.

(الْمِثَالُ الرَّابِعُ)

قال في باب (الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده): " واعْلَمْ أَنَّهُم يَقُولُون: إنْ زَيْدٌ لذَاهِبٌ، وإنْ عَمْرٌو لَخَيْرٌ منك، لمَّا خَفَّفَهَا جَعَلَها بمنزلة لَكِنْ حين خَفَّفَهَا، وأَلْزَمَهَا اللامَ؛ لئلا تلتبسَ بإنْ التي [هي] بمنزلةِ مَا التي تَنْفِى بها.

ومثل ذلك ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (١)، إنَّمَا هِيَ لَعلَيهْا [حَافِظٌ] .

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(٢)، إنَّمَا هِيَ لَجَمِيعٌ، ومَا لَغْوٌ.

وقال تعالى ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ (٣)، ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٤)

وحَدَّثَنَا مَنْ نَثِقُ به أنَّهُ سمع من العرب من يقول: إنْ عَمْرًا لَمُنْطَلِقٌ .

وأهل المدينة يقرؤون﴿ وَإِنْ كُلًّا لَّمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٥) يُخَفِّفُون ويَنْصِبُون، كما قالوا : [من الهزج]

كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ

وذلك لأنَّ الحرف بمنزلة الفعل، فَلَمَّا حُذِفَ من نفسه شيءٌ لم يُغَيَّرْ عَمَلُهُ، كَمَا لَمْ يُغَيَّرْ عَمَلُ لَمْ يَكُ، ولَمْ أُبَلْ حين حُذِفَ .

---

(١) سورة الطارق – الآية: ٤

(٢) سورة يس – من الآية: ٣٢

(٣) سورة الأعراف – من الآية: ١٠٢

(٤) سورة الشعراء – من الآية: ١٨٦

(٥) سورة هود – من الآية: ١١١

وأما أَكْثَرُهُم فأَدْخَلُوها في حروف الابتداء حين حَذَفُوا، كَمَا أَدْخَلُوها في حُرُوف الابتداء حين ضَمُّوا إِلَيْها مَا ".(١)

التحليل:

لعلَّك فاهمٌ معي من كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – أنَّ (إنَّ) المكسورة الهمزة المشددة النون التي ترفع الاسم وتنصب الخبر تُخَفَّفُ في كلام العرب، فتُصْبِح ساكنةَ النون، وللعرب فيها مذهبان:

المذهب الأول – وهو الأكثر في لسان العرب –: إهْمَالُهَا، فلا تنصب الاسمَ ولا ترفع الخبرَ، ويجب أن يلحقَ خَبَرَها لامٌ تُسَمَّى باللام الفارقة؛ للتفريق بينها وبين (إنْ) النافية، لأنَّ صورتَهُما واحدةٌ.

وذلك نحو قولك: إنْ زَيْدٌ لذَاهِبٌ، وإنْ عَمْرٌو لَخَيْرٌ منك، فـ(إنْ) مخففةٌ لا عملَ لها، وكلٌّ من (زيْدٌ، وعَمْرٌو) مبتدأ، واللام فارقة، وكلٌّ من (ذَاهِبٌ، وخَيْرٌ) خبر المبتدأ .

قال سيبويه: " وأما أَكْثَرُهُم فأَدْخَلُوها في حروف الابتداء حين حَذَفُوا، كَمَا أَدْخَلُوها في حُرُوف الابتداء حين ضَمُّوا إِلَيْها مَا ".

---

(١) الكتاب ١/١٣٩، ١٤٠

والمذهب الثاني – وهو القليل–: إعْمَالُها، فتنصب الاسمَ وترفع الخبرَ، ونحو قولك : إنْ عَمْرًا لَمُنْطَلِقٌ، وهي حينئذٍ بمنزلة فعلٍ سقط بعض أحرفه، وبَقِيَ عمله، كقولك: لَمْ يَكُ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا، ولَمْ أُبَلْ زَيدًا.

ثانيًا – أنَّ هناكَ أَثَرًا مُتَرَتِّبًا على تخفيف (إنَّ)، وهو أنَّهَا إذا خُفِّفَتْ فلا يليها من الأفعال إلا الأفعال الناسخة للابتداء، كما اتَّضَحَ من الشواهد المذكورة.

ثالثًا – الاعتماد في تقرير هذه المسألة على السماع الفصيح، من قرآنٍ كريمٍ، وقراءاتٍ قرآنيةٍ، وشعرٍ، وكلامٍ منثورٍ.

وبعد أنْ عايشنا التقعيد في الكتاب، وانتقلنا من بابٍ إلى بابٍ، أَصْبَحَ قول بعض الحداثيين: (إنَّ سيبوَيْهِ ارتضى لنفسه مَنْهَجَ الافتراض في وَضْعِ القواعد) منبوذًا.

الأسَاسُ السَّادِسُ

(أقْوَالُ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّابِقِينَ وَشُيُوخِهِ الأَجِلاء)

جَمَعَ سيبويه في الكتاب ما تَفَرَّقَ من أقوال أئمة العربية الراحلين، وعبارات شيوخه في النحو والتصريف، واللغة، الذين أفاد منهم إفادةً كبيرةً. واتَّسَمَ جَمْعُهُ هذا بكلِّ أمانةٍ، ودقةٍ، وموضوعيةٍ. ومنهم:

١- عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي

اللُّغَوِيُّ الْبَارِعُ الَّذِي بَعَّجَ النحو، ومَدَّ القياس، وشَرَحَ العلل، وقد جاء ذكره في كتاب سيبويه تسعَ مراتٍ (١)، ونذكر منها ما يلي:

(أ) قال سيبويه في (باب ما يجري من الشَّتْمِ مجرى التعظيم وما أشبهه) : " وأمَّا يونس فزعم أنَّهُ ليس يرفع شيئًا من التَّرَحُّمِ على إضْمَارِ شيءٍ يرفع، ولكنَّهُ إنْ قال: ضَرَبْتُهُ لَمْ يَقُلْ أبدًا إلا الْمِسْكِينَ يحمله على الفعل، وإن قال: ضَرَبَانِي قال: الْمِسْكِينَانِ، حَمَلَهُ - أيضًا - على الفعل، وكذلك: مَرَرْتُ به الْمِسْكِينِ، يَحْمِلُ الرَّفْعَ على الرَّفْعِ، والْجَرَّ على الْجَرِّ، والنَّصْبَ على النَّصْبِ، ويَزْعُم أنَّ

(١) ينظر: الكتاب ٥/ ١٨٥.

الرَّفْعَ الذي فَسَّرْنَا خَطَأٌ. وهو قول الخليل – رحمه الله – وابن أبي إسحاق ".(١)

التحليل:

المسألة المتناولة هنا هي: (مسألة قَطْع النعت الذي يراد به الترحم)، ويراد بالقطع: أن يجُعْلَ النعتُ خبرًا لمبتدأ محذوفٍ، أو مفعولاً به لفعل محذوفٍ، وهذا الحذف على سبيل الوجوب؛ ليكون حَذْفُهُ الواجبُ أمارةً على قَصْدِ الإنشاء للترحم وغيره، ولو صُرِّح بذكره لخفِيَ ذلك القَصْدُ، وتُوُهِّمَ كوْنُهُ كلامًا خبريًّا مستأنَفًا.

يرى يونس الرَّفعَ في هذه المسألة خَطَأً، وعَلَّلَ ذلك أبو سعيد السيرافي بأنَّهُ يحتاج إلى إضمارٍ وحذفٍ، وإذا كان إيضَاحُ الْكَلامِ وبَيَانُهُ يستغني عن هذا الإضمار والحذف كان حَمْلُهُ علي الكلام الحاضر أولى.

وأما ابن أبي إسحاق والخليل فرَأَيَا أنَّ قَطَعَ النعت المراد به المدح أو الذم برفعه على إضمار مبتدأ قد جاء في كلام العرب كثيرًا، وحَمَلا عليهما النَّعْتَ المراد به الترحم.(٢)

(ب) قال في (باب الواو): " وقال – تعالى –: ﴿يَلَيْتَنَا

---

(١) السابق ٢/٧٧.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢/٤٠٤.

نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) فالرَّفْعُ على وجهين: فأَحَدُهُمَا: أَنْ يَشْرَكَ الآخِرُ الأَوَّلَ.

والآخرُ على قولك: دَعْنِي وَلا أَعُودُ، أي: فإنّي مِمَّنْ لا يَعُودُ، فإنَّمَا يسأل التَّرْكَ، وقد أوجبَ على نَفْسِهِ أن لا عودةَ له الْبَتَّةَ تُرِكَ أو لم يُتْرَكْ، ولم يُرِدْ أن يسألَ أن يجتمعَ له التركُ وأن لا يَعُوَد. وأما عبد الله بن أبي إسحاق فكان يَنْصِبُ هذه الآية". (٢)

التحليل:

قراءة النَّصْب التي عزاها لابن أبي إسحاق هي قراءة حمزة ويعقوب ورواية حفص عن عاصم من أصحاب القراءات المتواترة ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بنصب (ولا نُكَذِّبَ، ونَكُونَ)، وقرأهما الباقون بالرَّفْعِ. (٣)

أمَّا نَصْبُ الفعلين فبـ(أَنْ) مضمرة وجوبًا بعد الواو التي بمعنى مع، المجاب بها طلب محض، طريقه : التمني ، كقولك: لَيْتَ لي مَالاً وأَتَزَوَّجَ مِنْهُ .

---

(١) سورة الأنعام – من الآية ٢٧.

(٢) ينظر: الكتاب ٣/٤٤.

(٣) ينظر : النشر ٢/٢٥٧ ، وتقريبه /١٠٩ ، والإتحاف ٢/٨.

فالفعل منصوب بإضمار(أنْ)، و(أنْ) حرفٌ مصدريٌّ ينسبكُ منه ومن الفعل الذي بعده مصدرٌ، والواوُ حرف عطف؛ فيستدعى معطوفًا عليه، وليس في الآية قبلها إلا فِعْلٌ، فكيف يُعْطَفُ اسْمٌ على فِعْلٍ ؟

والجواب: أنَّا نقدِّر مصدرًا متوهمًا يُعْطَفُ هذا المصدر المنسبك من(أَنْ) وما بعدها عليه، والتقدير: يا ليتنا لنا رَدٌّ وانتفاءُ تكذيبٍ بآيات ربنا وكونٌ من المؤمنين، والمعنى: ليتنا لنا ردٌّ مع هذين الأمرين ، فيكون عدمُ التكذيب والكونُ من المؤمنين مُتَمَنَّيَيْنِ أيضًا.

وأمَّا قراءة رفع الفعلين (وَلا نُكَذِّبُ، وَنَكُونُ) فذكر لها سيبويه وجهين:

أحدهما: أن يكون معطوفًا على (نُرَدُّ) فيكون انتفاء التكذيب والكون من المؤمنين داخلين فيما يتمناه الكفارُ يوم القيامة، فيكونون قد تمنَّوا ثلاثة أشياء: الردَّ إلى دار الدنيا، وعدمَ تكذيبهم بآيات ربهم، وكونَهم من المؤمنين، والمعنى: يا ليتنا نردُّ، وليتنا لا نكذبُ، وليتنا نكونُ من المؤمنين.

والثاني: الاستئناف والقطع؛ فيكون قوله (ولا نكذِّبُ) خبرًا لمبتدأ محذوف، والجملة مستأنفة لا تعلُّقَ لها بما قبلها، وإنما عُطِفَتْ هاتان الجملتان الفعليَّتان على الجملة المشتملة على أداة التمني وما في حَيِّزها فليسَتا داخلتينِ في التمني أصلاً، وأخبر اللهُ تعالى عنهم أنَّهم أَخْبروا عن أنفسهم بأنَّهم لا يُكَذِّبون بآيات ربهم، وأنَّهم يكونون من المؤمنين، فتكون هذه الجملة وما عُطِف عليها

في محل نصب مقول القول، كأنَّ التقديرَ: فقالوا: يا ليتنا نُرَدُّ، وقالوا: نحن لا نُكَذِّبُ ونكونُ من المؤمنين. (١)

وشبَّهَ سِيبَوَيْهِ هذا الْوَجْهَ بقولهم: دعني ولا أَعُودُ، والمعنى: وأنا لا أَعُودُ على كلِّ حال، تركتني أو لم تتركني، كذلك معنى القراءة أَخْبروا أَنَّهُمْ لا يُكَذِّبون بآيات ربهم، وأَنَّهُمْ يكونون من المؤمين على كل حال، رُدُّوا أو لم يُرَدُّوا.(٢)

٢- أبو الخطاب: عبد الحميد بن عبد المجيد المعروف بالأخفش الأكبر

الْعَالِمُ الْوِفِيُّ لِدينه، الْحَرِيصُ على لُغَتِهِ، الذي لَقِيَ الأعراب الْفُصَحاء، وسَمِعَ منهم، وقد أَخَذَ عَنْهُ سيبوَيْهِ لُغَات العرب، وذكره في كتابِهِ ستًّا وأربعين مرةً، (٣) منها:

(أ) قول سيبويه في (باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة): " وذلك قولك: هَذَا عَبْدُ اللهِ مُنْطَلِقٌ. حَدَّثَنَا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب.

---

(١) ينظر : حجة القراءات/ ٢٤٥ ، والكشف١/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، والبيان١/ ٣١٨.

(٢) ينظر : الكتاب٣ / ٤٤.

(٣) ينظر: السابق ١٨٥/٥

وزعم الخليل رحمه الله أن رفعه يكون على وجهين؛ فوجه أنك حين قلت: هذا عَبْدُ اللهِ، أضمرت هذا أو هو، كأنَّك قلت: هَذَا مُنْطَلِقٌ، أو هُوَ مُنْطَلِقٌ.

والوجه الآخر: أن تجعلهما جميعًا خبرًا لـ(هذا)، كقولك: هَذَا حُلْوٌ حَامِضٌ، لا تريد أن تنقض الحلاوة، ولَكِنَّكَ تزعم أنَّهُ جمع الطعمين. وقال الله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾(١) ... " . (٢)

التحليل:

كلام سيبويه في هذا الباب عن رفع كلمة (مُنْطَلِق) على سبيل الجواز، في نحو هذا القول العربي المسموع، ومُسْتَنَدُهُ في ذلك ما يلي:

أولاً – أنَّ هذا الوجه حكاية عالمين جليلين، هَذَّكَ من عالمينِ، هما: يونس بن حبيب، وأبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، حَكَيَاه عن قومٍ من العرب، موثوقٍ بهم، ومَشْهُودٍ بنقاء عربيتهم.

ثانيًا – حمل الخليل شيخ العربية الجليل لهذا الرفع الوارد على وجهين:

---

(١) الآيتان من سورة المعارج.

(٢) الكتاب ٢ /٨٣.

أحدهما: أنَّ كلمة (مُنْطَلِق) مرفوعةٌ؛ لأنَّها خَبَرٌ لمبتدأ محذوفٍ، والتقدير: هَذَا مُنْطَلِقٌ، أو هُوَ مُنْطَلِقٌ.

والثاني: أنَّ كُلاًّ من (عَبْد الله، ومُنْطَلِق) مرفوع؛ لأنَّهُما جميعًا في معنى خبرٍ واحدٍ عن المبتدأ، والتقدير: هذا الجامعُ بين هذا الاسم والانطلاق. ويُؤَيِّد ذلك قول الله – عز وجل – في قراءة جمهور القراء ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ فـ(لَظَى، ونَزَّاعَةٌ) مرفوع؛ لأنَّهُما جميعًا في معنى خبرٍ واحدٍ، والتقدير: إنَّ هذه النار جامعة بين الأمرين.

(ب) قال سيبويه في (باب مالا يكون الاسم فيه إلا نكرة): " وذلك قولك: هذا أوَّلُ فارسٍ مُقْبِلٌ، وهَذَا كُلُّ مَتَاعٍ عِنْدَك مَوْضُوعٌ، وهذا خَيْرٌ منك مُقْبِلٌ .

ومِمَّا يَدُلُّكَ على أنَّهُنَّ نَكِرَةٌ: أنَّهُنَّ مضافاتٌ إلى نكرةٍ، وتُوصَفُ بهنَّ النكرة، وذلك أنَّكَ تقول فيما كان وَصْفًا: هذا رَجُلٌ خَيْرٌ منك، وهذا فَارِسٌ أوَّلُ فارِسٍ، وهذا مَالٌ كُلُّ مَالٍ عندك.

ويستدل على أنَّهُنَّ مضافاتٌ إلى نكرةٍ: أنَّك تَصِفُ ما بعدهُنَّ بما تُوصَفُ به النَّكِرة، ولا تَصِفُهُ بما تُوصَفُ به المعرفة، وذلك قولك: هذا أوَّلُ فارِسٍ شُجَاعٍ مُقْبِلٌ.

وحَدَّثَنَا الخليل أنَّهُ سمع من العرب من يوثق بعربيته يُنْشِدُ هذا البيت، وهو قول الشماخ: [من الطويل]

وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمِ نَفْسِهِ لِوَصْلِ خَلِيلٍ صَارِمٌ أَوْ مُعَارِزُ(١)

فَجَعَلَهُ صفةً لِكُلٍّ.

وحدثني أبو الخطاب أَنَّهُ سمع من يُوثق بعربيته من العرب يُنْشِد هذا البيت: [من الهزج]

كَأَنَّا يَوْمَ قُــرَّى إِنْـ ـنَمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا

قَتَلْنَا مِنْهُمُ كُلَّ فَتًى أَبْيَضَ حُسَّانَا(٢)

فجعله وَصْفًا لكلّ " . (٣)

التحليل:

ذكر سيبويه في هذا الباب أَسْمَاءً لا تَدْخُلُ عَلَيْها الألف واللام؛ لأنَّها نكراتٌ، ومنها: أَوَّلُ فَارِسٍ، وخَيْرٌ منك، وكُلُّ مَتَاعٍ عِنْدَك، وأَدلة تنكيرها ما يلي:

أولاً – أنَّهَا تُوصَفُ بالأسماء النكرات، نحو: هذا أَوَّلُ فارسٍ مُقْبِلٌ، وهَذَا كُلُّ مَتَاعٍ عِنْدَك مَوْضُوعٌ، وهذا خَيْرٌ منك مُقْبِلٌ .

---

(١) البيت في ديوان الشاعر/٤٣

(٢) البيتان لذي الإصبع العدواني في الخصائص ١٩٤/٢

(٣) الكتاب ٢ /١١١،٢١٠.

ثانيًا – أَنَّهَا مضافاتٌ إلى نكرة، وتُوصَفُ بها الأسماء النكرات، نحو: هذا رَجُلٌ خَيْرٌ منك، وهذا فَارِسٌ أَوَّلُ فارِسٍ، وهذا مَالٌ كُلُّ مَالٍ عندك.

وقد استشهد على ذلك بما تلقاه عن شيخيه الجليلين: الخليل وأبي الخطاب، من شعر العرب الذين يوثق بعربيتهم.

٣– الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري

شيخ العربية الجليل الذي كان يحفظ نصف لغة العرب، ووَضَعَ علم العروض بلا منازعٍ، ونَهَضَ بالنحو العربيّ نهضةً عظيمةً، وقد كثر نقل سيبويه عنه في الكتاب؛ إذ كان الخليل لا يَمَلُّ لقاءه، وأنابه عنه في رواية علم العربية.

ومعظم ما في الكتاب من قواعد نحوية، وصرفية، ولغوية مَصْدَرُهُ الْخَلِيل بن أحمد، ويربو ما رواه عنه سيبويه في الكتاب على خمسمائة وأربعين رواية؛ فكثيرًا ما تراه يقول: وزعم الخليل، ويقول: وقال الخليل، ويقول: وسألت الخليل، ويقول: روى الخليل، وأخرى يقول: وأنشدنا الخليل.

وإذا رأيته يُضمر، فيقول: (وسَأَلْتُهُ، أو حَدَّثَنِي، أو قَالَ لِي)، فمراده: الخليل. قال أبو سعيد السيرافي: " وعامة الحكاية في كتاب

سيبويه عن الخليل، وكُلُّ ما قاله سيبويه (وسَأَلْتُهُ)، أو (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ".(١)

فكان الْخَلِيلُ العالمَ الذي جَذَبَ فُؤَادَ تِلْمِيذِهِ، واستولى على لُبِّ مُعَلِّمِهِ؛ فلا يكاد تلميذه يذكره دون الترحم عليه، قائلاً: رحمه الله. ولَمْ يَأْتِ ذلك من فَرَاغٍ، بل من موافقات أقواله في اللغة لكلام العرب أَرْبَابِهَا، فكلما سَمِعَ سيبويه منه قولاً وَجَدَ الْعَرَبَ نَاطِقَةً بِهِ. ويَشْهَدُ لذلك قَوْلُهُ: " والَّذِي ذَكَرْتُ لكَ قَوْلُ الخليل، ورَأَيْنَا الْعَرَبَ تُوافِقُهُ بَعْد ما سَمِعْنَاهُ مِنْه ". (٢)

ودونك أمثلة كاشفةً من الكتاب:

(أ) قال سيبويه: " وسألت الخليل عن قوله – عز وجل –: ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٣)، فقال: هذا كقول زهير: [من الطويل]

بَدَا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيَا(٤)

فَإِنَّمَا جَرُّوا هذا؛ لأَنَّ الأَوَّلَ قد يَدْخُلُهُ الْبَاءُ، فجاءوا بالثَّانِي،

---

(١) أخبار النحويين البصريين /٣١

(٢) الكتاب ١١٧/٢

(٣) سورة المنافقون – من الآية: ١٠

(٤) البيت في ديوان الشاعر/ ١٠٧، وشرح التسهيل ٣٨١/١، ومغني اللبيب ٩٦/٢.

وكأنَّهُم قد أثبتوا في الأوَّلِ الْبَاءَ، فكذلك هذا، لمَّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزمًا، ولا فاء فيه تكلموا بالثاني، وكأنَّهُم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا " .(١)

التحليل

يرى الخليل أنَّ ﴿وَأَكُن﴾ مجزومٌ بالعطف على الشَّرْطِ الْمُتَوَهَّمِ الذي يَدُلُّ عليه التَّمَنِّي؛ لأنَّ معنى (لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ)، ومعنى (إِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَصَّدَّقْ) وَاحِدٌ .

والعطف على التوهم يدل على شيئين:

الشيء الأول: توهم أنَّ العامل الموجود معدوم، كما في قولك: إِنَّكَ وَبَكْرٌ ذاهِبَانِ، فـ(بَكْرٌ) مرفوعٌ بالعطف على الكاف في (إِنَّكَ) على توهم عدم وجود (إنَّ).

والشيء الثاني: توهم أنَّ الْعَامِلِ المعدوم موجود، نحو قولك: ليس بَكْرٌ قَائمًا ولا قَاعِدٍ، فـ(قَاعِدٍ) مجرور بالعطف على (قائِمًا) على توهم دخول الباء على (قائِمًا).

(١) الكتاب ٣/١٠٠، ١٠١.

ويُسَمَّى العطف على التَّوَهُّم بالعطف على المعنى، والأوَّل في القرآن الكريم أنْ يُقَال ذلك؛ تَأَدُّبًا.(١) وشرط جوازه: صحة دخول ذلك العامل المتوهم .(٢)

(ب) قال سيبويه : " وقال الخليل ـ رحمه الله ـ : من قال : يا زَيْدُ والنَّضْرَ فنَصَبَ ، فإنَّما نَصَبَ؛ لأنَّ هذا كان من المواضع التي يُرَدُّ فيها الشيء إلى أصله .

فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون : يا زَيْدُ والنَّضْرُ . وقرأ الأعرج ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ (٣) فرفع. (٤) ويقولون : يا عَمْرُو والْحَارِثُ ، وقال الخليل ـ رحمه الله ـ : هو القياس ، كأنَّهُ قال : ويا حَارِثُ " . (٥)

التحليل

قَرَّرَ الخليل – فيما حكاه عنه سيبويه – أَنَّ المعطوف على المنادى إذا كان مقترنًا بـ(أل) جاز فيه وجهان :

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ١٢٢/٢ .

(٢) مغني اللبيب ٩٦/٢ .

(٣) سورة سبأ – من الآية:

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القرآن/ ١٢٢

(٥) الكتاب ١٨٦/٢ ، ١٨٧.

الوجه الأول: الرَّفْعُ ، وهو المختار عنده ، والقياس ؛ لأنَّهُ أَكْثَرُ كلام العرب. وبه جاءت قراءة الأعرج ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَالطَّيْرُ﴾ بالرفع ، وقول العرب : يا عَمْرُو والْحَارِثُ.

الوجه الثاني : النَّصْبُ عطفًا على محل الْجِبَال؛ لأنَّ ما فيه أل لم يلِ حرف النداء، فلا يجعل كلفظ ما وليه.

٤- يونس بن حبيب الضَّبِيّ البصري

اللغويُّ الأَدِيبُ الذي وَاجَهَ العرب، فسمع منهم، حتى صار مرجعًا في المشكلات النحوية والأدبية، يَؤُمُّهُ من يبغي كَشْفَهَا، والوقوف على كُنْهِهَا.

أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره، وروى عنه سيبويه في الكتاب مائتي روايةٍ تقريبًا، وهو يلي الخليل بن أحمد من حيث كثرةُ الروايةِ في الكتاب. والدليل على ذلك قول سيبويه بعد أن نقل عنه كلامًا كثيرًا في باب التصغير، والباب الذي يليه : " وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس (١)."

ودونك أمثلة كاشفةً من الكتاب:

(أ) قال سيبويه في (باب جمع الأسماء المضافة): " وإذا جَمَعْتَ أبَا زَيْدٍ قُلْتَ: آبَاءُ زَيْدٍ، ولا تقول: أبُو زَيْدِينَ؛ لأنَّ هذا بمنزلة

(١) السابق ٤٢٣/٣

ابنِ كُرَاع، إنما يكون معرفة بما بعده. والوجه أن تقول: آبَاءُ زَيْدٍ، وهو قول يونس. وهو أحْسَنُ من آبَاءِ الزَّيْدِينَ، وإنَّما أردت أن تقول: كلُّ واحدٍ منهم يُضَافُ إلى هذا الاسم".(١)

التحليل

إذا كان الاسم المضاف كنيةً، والمضاف إليه معرفة، يُوَحَّدُ المضاف إليه، ولا يُجْمَع، ويجمع المضاف الكنية فقط، فيقال في أبي زيدٍ: هؤلاء آباءُ زيدٍ. وهذا قول يونس. وهو المختار عند سيبويه، والوجه.

وهو أحْسَنُ من قول من جمع الاسمين معًا، فقال: آباءُ الزيدين؛ لأنَّ المرادَ أن يقال: كلُّ واحدٍ من الآباء يُضَافُ إلى هذا الاسم.

(ب) قال سيبويه في (باب تحقير ما كان من الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار في حذف إحداهما تَحْذِف أيَّهُمَا شئت): " وسألتُ يُونُسَ عن تحقير ثلاثينَ فقال: ثُلَيْثُونَ ولم يُثقل، شَبَّهَهَا بواو جَلُولاءَ؛ لأنَّ ثلاثًا لا تُسْتَعمل مفردةً على حَدِّ ما يُفْرَد ظَرِيفٌ، وإنَّمَا ثلاثونَ بمنزلة عشرينَ، لا يُفْرَدُ ثَلاثٌ من ثلاثينَ، كما لا يُفْرَدُ العشر من عشرينَ ".(٢)

---

(١) السابق ٤٠٩/٣

(٢) السابق ٤٤٢/٣

التحليل

جعل يونس الواو والنون والياء والنون في ثَلاثِينَ بمنزلة ألفي جَلُولاء، وأَسْقَطَ في التصغير الألفَ من ثلاثٍ،كما أَسْقَطَ الواوَ من جَلُول، ولم يجعله بمنزلة ظريفينَ؛ لأنَّ ظريفين يُفْرَد، ويتكلم بمفرده، فيقال: ظريفٌ، ثم تدخل عليه علامة الجمع. وثلاثٌ من ثلاثين لا يُفْرَد، كما لا يُفْرَدُ العشر من عشرينَ؛ لأنَّك لو أفردت ثلاثًا، ثم جمعْتَها قلْتَ: ثلاثون، بمعنى: تسعة؛ لأنَّ ثلاثًا ثلاثُ مراتٍ بمنزلة تسعة في المعنى، وأنت لسْتَ تريد ذلك. (١)

٥ – أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري

الْعَلامةُ الْبَارِعُ الذي كَثُرَ سَمَاعُهُ عَنْ الْعَرَبِ، ووَثَّقَ الْعُلَمَاءُ رِوَايَتَهُ، قال أبو سعيد السيرافي: " كان أبو زيد كثير السماع من العرب، ثقة مقبول الرواية "(٢)، وقال: " وذَكَرَ أبو زيدٍ النحويّ اللغويّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه، قال: كُلُّ ما قاله سيبوَيْهِ: وأخبرني الثقة فأنا أخبرته ".(٣) وقد مات أبو زيد بعد سيبويه بنيّفٍ وثلاثين سنة.

وله ذكر صريح قليلٌ في الكتاب، لا يتجاوز مرتين، وهما:

---

(١) ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١٨٧/٤

(٢) أخبار النحويين البصريين/٤٢

(٣) السابق/٣٧

(أ) قول سيبويه في (باب الإضافة إلى الجمع): " اعلم أنَّكَ إذا أضفت إلى جميع أبدًا فإنَّكَ تُوقِع الإضافة على واحده الذي كُسِّرَ عليه ليُفْرَق بينه إذا كان اسمًا لشيء واحدٍ وبينه إذا لم تُرِد به إلا الجميع. فمن ذلك قول العرب في رجل من القبائل: قَبَلِيٌّ، وقبليَّةٌ للمرأة ... وقال أبو زيد: النّسبة إلى محاسن محاسني؛ لأنَّهُ لا واحد له فصار بمنزلة نفر ".(١)

الإيضاح

إذا أريد النسب إلى جمعٍ لا واحد له من لفظه، فإنَّهُ يُنْسَب إليه على لفظ الجمع، مثل: محاسن، قال أبو زيدٍ في النسب إليها: محاسنِيٌّ.

وهو بمنزلة اسم الجمع الذي ليس واحد له من لفظه، نحو: نَفَر، تقول في النسب إليه: نَفَرِيٌّ.

(ب) قول سيبويه في (باب عدة ما يكون عليه الكلم): " وأما (عَنْ) فلما عَدَا الشيءَ، وذلك قولك: أطْعَمَهُ عَنْ جُوعٍ، جَعَلَ الْجُوعَ مُنْصَرِفًا تاركًا له قد جاوزه، وقال: قد سَقَاهُ عن الْعَيْمَةِ، والْعَيْمَة: شهوة اللبن. قال أبو عمرو: سمعت أبا زيد يقول: رَمَيْتُ

(١) الكتاب٣/٣٧٨، ٣٧٩

عن القوس. وناسٌ يقولون: رَمَيْتُ عليها ... ورَمَيْتُ عن القوس؛ لأنَّهُ بها قَذَفَ سَهْمَهُ عنها وعَدَّاها ".(١)

والكلام هنا واضح لا يحتاج إلى إيضاح.

٦- عيسى بن عمر الثقفي

قارئ لغوي أريب، مولع بالغريب والتشدُّق في كلامه، أخذ عن ابن أبي إسحاق الحضرمي وغيره، وقد ذكره سيبويه في كتابه ثنتين وعشرين مرة،(٢) وهاك نموذجين واضحين من ذكره في الكتاب:

(أ) قال سيبويه في (باب ما يُضْمَرُ فيه الفعلُ المستعمل إظْهَارُهُ بعد حرفٍ): " وإنْ شئتَ نَصَبْتَ فقُلْتَ: مبرورًا مأجورًا، ومُصَاحَبًا مُعَانًا. حَدَّثَنَا بذلك عن العرب عيسى ويونس وغيرهما، كأنَّهُ قال: رَجَعْتَ مبرورًا، واذْهَبْ مُصَاحَبًا ". (٣)

(ب) وقال في (باب تسمية المؤنث): " وكان عيسى يَصْرِفُ امرأةً اسمها عمرو، لأنَّهُ على أخف الأبنية ".(٤)

٧- أبو عمرو بن العلاء البصري

---

(١) الكتاب٤/٢٢٦، ٢٢٧

(٢) السابق٥/١٨٨

(٣) السابق ١/٢٧١

(٤) السابق ٣/٢٤٢

القارئ الذي اشتهر بالقراءات – وقراءته متواترة سبعية – واللغوي المحيط بأيام العرب، والْمُلِمُّ بلهجات القبائل العربية، والثقة الذي قال عنه تلميذه يُونُسُ: لو كان أَحَدٌ ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيءٍ كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كله في العربية، ولكنَّهُ ليس من أحدٍ إلا وأنت آخذٌ من قوله وتاركٌ إلا النبي – صلى الله عليه وسلم –. (١)

وقد جاء ذكره في كتاب سيبويه مرات عديدة،(٢) ولم يكن تَلَقِّي سيبويه عنه بطريقٍ مباشرٍ، بل روى عنه عَبْرَ شيوخه الأجلاء: يونس، والخليل، والأصمعي، وغيرهم.

ودونك أمثلة كاشفة عن ذلك في الكتاب:

(أ) قال في (باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما): " ومثل ذلك أيضًا قوله أنشدنيها الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد: [من الكامل]

إنْ يَبْخَلُوا أوْ يَجْبُنُوا أوْ يَغْدِرُوا لا يَحْفِلُوا

يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِيـ ـنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

---

(١) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء/٣١

(٢) السابق ١٨٧/٥

فقوله (يَغْدُوا): بدلٌ من (لا يَحْفِلُوا)، وغُدُوُّهُمْ مُرَجَّلِينَ يُفَسِّرُ أَنَّهُمْ لم يَحْفِلُوا ".(١)

(ب) قال في (باب أسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأب والأم): " فأمَّا ثَمُودُ، وسَبَأ فهما مَرَّةً للقبيلتين، ومَرَّةً للحيَّيْن، وكثرتهما سواءٌ ... وكان أبو عمرٍو لا يَصْرِفُ سَبَأ، يَجْعَلُهُ اسمًا للقبيلة. وقال الشاعر: [من المنسرح]

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا(٢)

وقال في الصرف، للنابغة الجعدي: [من البسيط]

أَضْحَتْ يُنَفِّرُهَا الْوِلْدَانُ مِنْ سَبَأٍ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ دَفَّيْهَا دَحَارِيجُ(٣)

... ".(٤)

(ج) قال في (باب من المعرفة يكونُ فيه الاسْمُ الخاصُّ شائعًا في الأُمَّة): " ويدلّك على أنَّ ابْنَ عِرْسٍ وأُمَّ حُبَيْنٍ وسَامَّ أَبْرَصَ وابْنَ مَطَرٍ معرفةٌ ، أنَّك لا تُدْخِلُ في الذي أُضِفْنَ إليه الألفَ واللامَ ، فصار بمنزلة زيدٍ وعمرٍو . ألا ترى أنَّك لا تقول : أبو

---

(١) السابق ٣/٨٦، ٨٧

(٢) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه/١٤٩

(٣) البيت في ديوان الشاعر/٥٠

(٤) السابق ٣/٢٥٢، ٢٥٣

الْجُخَادِب . وهو قول أبي عمرو ، حدّثنا به يونس عن أبي عمرو ".(١)

(د) قال في (باب الأحيان في الانصراف وغير الانصراف): " وزعم يونسُ عن أبي عمرو ، وهو قوله أيضًا وهو القياس ، أنَّك إذا قلت : لقيتُه العامَ الأوَّلَ ، أو يومًا من الأيام ، ثم قلت : غدوةَ أو بكرةَ ، وأنت تريد المعرفة لم تنوّن. وكذلك إذا لم تذكر العام الأوَّل ولم تذكر إلا المعرفة ، ولم تقل يومًا من الأيام كأنَّك قلت : هذا الحِينُ في جميع هذه الأشياء . فإذا جعلتها اسمًا لهذا المعنى لم تنوّن. وكذلك تقول العرب ".(٢)

(تَقْرِيرٌ)

هذا كتاب سيبويه، قد نطق بالحقائق العلمية الدامغة، ورَدَّ على بعض الحداثيين الذين ما عرفوا الطريق إليه، فسيبويه هو أول من وَضَعَ سماتِ البحث العلمي، من أمانةٍ، ودقةٍ، وموضوعيةٍ، واستقلاليةٍ ... اعترف بذلك هؤلاء، أو أصَرُّوا على ما في أنفسهم.

فهل تَقْبَلُ بعد ما ذكرناه من نماذج، وهي قليل من كثيرٍ- أن يأتي أحدهم، فيقول: إنَّ سيبويه لم يكن ينشغل كثيرًا بما يرد عن غيره من علماء العربية ؟

---

(١) الكتاب ٩٦/٢

(٢) السابق ٢٩٣/٣

الأساس السابع:

(الاسْتِنَادُ فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ إِلَى السَّمَاع).

لم يكن سيبويه ليحكم بوجوب وجهٍ إعرابيّ، أو جوازه، من نصبٍ، أو رفعٍ، في مثالٍ من الأمثلة التي ذكرها لإيضاح القواعد، إلا إذا كان مُعْتَمِدًا في ذلك على سماع عربي، ويشهد لذلك قوله: " ومِمَّا يَنْتَصِب على إضمار الفِعل المستَعْمَل إظْهَارُهُ قولك : هَلَّا خيرًا من ذلك ، وأَلَّا خيرًا من ذلك ، أو غَيْرَ ذلك. كأَنك قلت : أَلَّا تَفْعَلُ خيرًا من ذلك ، أو أَلَّا تَفْعَلُ غيرَ ذلك ، وهَلَّا غيرَ ذلك ، ورُبَّمَا عَرَضْتَ هذا على نفسك فكنتَ فيه كالمخاطَبِ ، كقولك : هَلَّا أَفْعَلُ ، وأَلَّا أَفْعَلُ .

وإن شئتَ رَفَعْتَهُ ، فقد سمعنا رَفْعَ بعضِه من العرب ، وممَّن سَمِعَهُ من العرب . فجاز إضمارُ ما يَرْفَعُ كما جاز إضمارُ ما يَنْصِبُ ".(١)

وقوله: " وليس يجوز هذا فى كُلِّ شيءٍ، لو قلت: هو مِنِّي مَجْلِسَكَ أو مُتَّكأَ زيدٍ، أو مَربِطَ الفرسِ، لم يجز. فاسْتَعْمِلْ من هذا ما استَعملتِ الْعَرَبُ وأَجِزْ منه ما أجازوا. ومن ذلك قول العرب: هو منّى دَرَجَ السَّيْلِ، أي: مكانَ درجِ السيل من السيل ".(٢)

---

(١) الكتاب ١/٢٦٨.

(٢) الكتاب ١/٤١٤.

والسماع هو: ما ثَبَتَ في كلام من يُوثَقُ بفصاحته، فشمل: كلام الله – تعالى– وكلام نبيه – صلى الله عليه وسلم – وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أَنْ فسدت الألسنة بكثرة المولَّدين نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر. (١)

وقد جاءت مظاهر السماع في كتاب سيبويه متمثلةٌ في القرآن الكريم، وقراءاته، والحديث الشريف والأثر، والشعر العربي الفصيح، والكلام المنثور.

أولاً – القرآن الكريم

استشهد سيبويه بآياتٍ من الذكر الحكيم – خير الكلام وأطيبه، وأحلاه وأعذبه، وأفصحه وأعربه – على إثبات القواعد النحوية والتصريفية واللغوية التي استنبطها من كلام العرب، وقد قاربت الشواهد القرآنية المذكورة أربعمئة شاهدٍ.

ومن أمثلة الاحتجاج بالقرآن الكريم ما يلي:

(أ) قول سيبويه في (باب ما جَرَى مِنَ الأَسْمَاءِ التي لم تُؤْخَذ من الْفِعْلِ مَجْرَى الأَسْمَاءِ التي أُخِذَت من الْفِعْلِ): " وأمَّا قَوْلُهُ – جَلَّ

---

(١) ينظر: الاقتراح/ ٩٦

وعَزَّ –: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ ﴾ (١) فهو على الْفِعْلِ الذى أُظْهِرَ، كأَنَّهُ قال: بَلَى نَجْمَعُهَا قَادِرِينَ. حَدَّثَنَا بذلك يُونُسُ ".(٢)

إيضاح

استشهد سيبويه بهذه الآية الكريمة على أنَّ (قَادِرِينَ) حالٌ، حُذِفَ عامِلُهَا الْفِعْلِيُّ جوازًا؛ لوجود قرينة مقاليةٍ في الآية السابقة، وهي الفعل (نَجْمَعَ) الظاهر في قوله – تعالى –: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾(٣)، والتقدير: بَلَى نَجْمَعُهَا قَادِرِينَ. وكان هذا حديث الأستاذ للتلميذ النبيه، حديث يُونُسَ لسيبويه.

(ب) قوله في (باب بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة، وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة): " أمَّا بَدَلُ المعرفة من النكرة فقولك: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَبْدِ اللهِ، كأَنَّهُ قيل له: بِمَنْ مَرَرْتَ؟ أو أَظُنُّ أَنَّهُ يقال له ذاك؛ فأَبْدَلَ مَكَانَهُ ما هو أَعْرَف منه. ومثل ذلك قوله– عَزَّ وجَلَّ ذِكْرُهُ –: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾(٤) ...".(٥)

---

(١) سورة القيامة ـ من الآية: ٤

(٢) الكتاب ٣٤٦/١

(٣) سورة القيامة ـ الآية: ٣

(٤) سورة الشورى – من الآيتين: ٥٢ – ٥٣

(٥) الكتاب ١٤/٢

إيضاح

استشهاد سيبويه بهذه الآية الكريمة على أَنَّ الْمَعْرِفَةَ، وهي (صِرَاطِ اللهِ) بَدَلٌ من النَّكِرَة، وهي (صِرَاطٍ) الأولى. وهذا أمرٌ جائزٌ.

(ج) قوله في (باب ما ينتصب لأنَّهُ حالٌ صار فيها الْمَسْئُولُ والْمَسْئُولُ عنه) : " وذلك [قولك]: ما شَأْنُكَ قَائمًا، وما شَأْنُ زيدٍ قائمًا، وما لأَخِيكَ قائمًا. فهذا حالٌ قد صار فيه، وانتصب بقولك: ما شَأْنُكَ، كما يَنْتَصِب (قائمًا) في قولك: هذا عَبْدُ اللهِ قائمًا بما قبله ... وفيه معنى لِمَ قُمْتَ؟ يعني: ما شَأْنُكَ، ومَالَكَ . قال الله – تعالى –: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (١)...". (٢)

إيضاح

استشهد سيبويه بهذه الآية الكريمة على أنَّ (مُعْرِضِينَ) حالٌ قد عَمِلَ فيه (مَالَهُمْ)؛ لأنَّ معناه: ما يَصْنَعُونَ في هذه الحال؟ وهو استفهامٌ توبيخي على السبب الذي أدَّاهم إلى الإعراض عن التذكرة. (٣)

ثانيًا – القراءات القرآنية

---

(١) سورة المدثر – الآية: ٤٩

(٢) الكتاب ٢/٦٠، ٦١

(٣) ينظر: شرح كتاب سيبويه٢/٣٩٤

لقد وَجَّهَ كثير من متقدمي النحويين سهام الطعن إلى القراءات القرآنية وقرّائها، وجاءت عباراتهم وأقاويلهم الدَّالَّةُ على ذلك في بطون كتب النحو والعربية كثيرة جدًّا، تُؤسِفُ الباحثين، ويُصوّر لنا ذلك الشيخ عضيمة – رحمه الله – بقوله : " إنَّ الحملة على القراء بتلحينهم، وردِّ قراءاتهم استفتح بابها، وحمل لواءها زعماء البصرة المتقدمون، ثم تطاير شررها إلى بعض زعماء الكوفة؛ فشاركوا فيها.

فالإمام الفراء مع علمه وفضله؛ وتلمذته للكسائي، أحد القراء السبعة يشارك في الطعن على القراء، وينسب إليهم الوهم ". (١)

وما قاد هؤلاء هذه الحملة إلا لأنَّهُم أخضعوا القراءات لأقيستهم التي وضعوها، فما وافق منها أقيستهم، ولو بالتأويل قبلوه، وما خالفها رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ، وطعنوا في عربية قُرَّائه .

وهنا نتساءل: هل شارك سيبويه في هذه الحملة ؟ وما موقفه من القراءات القرآنية ؟

وتأتي الإِجَابَةُ وَاضِحَةً شَافِيَةً: لم يكن لسيبويه نصيبٌ في هذه الحملة الطَّاعِنَة، فإنَّ مَوْقِفَهُ من القراءاتِ القرآنيةِ واضحٌ غايةَ

(١) أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية/٢٩٣.

الْوُضُوح؛ فلم يُخطئ قراءةً، متواترةً أو شاذةً، فهذا مبدؤه، وهذه عبارته: " القراءة لا تخالف؛ لأنَّ القراءة السنة " .(١)

لكنَّ في كتاب سيبويه عبارةً، أساء فَهْمَهَا الرضيُّ، فظن أنَّ سيبويه يطعن في القراءات، وهذه العبارة هي قوله: " وقد بلغنا أن قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق، يحققون نبئ، وبريئة، وذلك قليل رديء ".(٢)

وقد شرحها الرضي قائلاً: " يعني: قليل في كلام العرب رديء فيه، لا أنه رديء في القياس، وهي ثابتة في القراءات السبع...ومذهب سيبويه - كما ذكرناه - أن ذلك رديء، مع أنه قرئ به. ولعل القراءات السبع عنده ليست متواترة، وإلا لم يحكم برداءة ما ثبت أنه من القرآن الكريم، تعالى عنها " .(٣)

وقد نقل عنه الشيخ عضيمة هذا الكلام، ولم يُعَقِّبْ.(٤)

والرَّدُّ على الرضي يتمثل فيما يلي:

---

(١) الكتاب ١٤٨/١ .

(٢) السابق ٥٥٥/٣ .

(٣) شرح الشافية ٣٥/٣ .

(٤) ينظر: أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية/٢٩٧ .

أولاً – أَنَّ القراءات القرآنية سُبِّعت في عصر ابن مجاهد، وعلى يديه في نهاية القرن الثالث الهجري، وبداية القرن الرابع، ولم تُسَبَّع في عصر سيبويه، فقد جانب الرضيّ الصواب في هذا الأمر.

ثانيًا – لا نجد في عبارة الكتاب السابقة قراءةً، حُكم عليها بالقلة والرداءة، وسيبويه ليس مطالبًا بمعرفة جميع القراءات، وقد كانت تخفى على الصَّحابة، وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وما دار فيه بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم شاهد صدقٍ على ذلك.

وكثيرًا ما استند سيبويه إلى القراءات في إثبات القواعد، ودونَك نموذجين من ذلك:

(أ) استشهد سيبويه في (باب مَجْرى النعتِ على المنعوتِ والشَّريكِ على الشَّريكِ والْبَدَلِ على الْمُبْدَلِ منه وما أشبه ذلك) بهذه الآية الكريمة: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾(١) وذكر أنَّها قرئت على وجهين: رفع (فِئَة)، وخفضها،(٢) وكلاهما عنده في منزلة واحدة.

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ١٣ .

(٢) الرفع قراءة جمهور القراء ، أصحاب القراءات العشر المتواترة، والجر قراءة شاذة، قرأ بها مجاهد، والحسن، والزهري، وحميد. ينظر: المحرر الوجيز٣/٣١، والبحر المحيط٣/٤٥، والدر =

فالرفع على أنَّهَا خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: إحداهما فئةٌ تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، وهي جملة مستأنفة؛ لتقرير ما في الفئتين من الآية.

والجر على وجهين :

أحدهما: الصفة، وقد ثُنِّيَ الموصوف، وهو (فئتين)، وفرِّقَت الصفة، وهي (تقاتل في سبيل الله)، و(كافرة)، وكُرِّرَ الموصوف مفرّقًا، وهو(فئة)، (أخرى)؛ للتوكيد.

والثاني: البدل، فـ(فئةٍ) بدل بعض من كل، وهو(فئتين)، وإذا كان كذلك فلابد من ضمير يعود على المبدل منه ، تقديره : فئةٍ منهما ".(١)

قال سيبويه: " ومثال ما يجيء في هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قوله – عز وجل –: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾. ومن الناس من يجر ، والجر على وجهين : على الصفة ، وعلى البدل".(٢)

المصون٣/٤٥.

(١) الدر المصون ٣/٤٥.

(٢) الكتاب ١/٤٣٢.

(ب) احتجَّ سيبويه في (باب الواو) بهذه الآية الكريمة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١)، وذكر فيها قراءة أخرى قائلاً: " ومن النصب في هذا الباب قوله - عز وجل -: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، وقد قرأها بعضهم ﴿وَيَعْلَمِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.. ".(٢)

فالفعل (وَيَعْلَمَ) منصوب بـ(أنْ) مضمرة وجوبًا بعد واو المعية، المجاب بها نفي محض (ولَمَّا يَعْلَم)، والمعنى: ولمَّا يجتمع العلم بجهادكم والعلم بصبركم .

والجزم في القراءة الثانية (وَيَعْلَم) على أنَّ الواو تفيد التشريك بين الفعلين، فأعطت ما بعدها حكم ما قبلها، وهو الجزم، فصار مجزومًا مثله.

ثالثًا – الحديث الشريف والأثر

(١) سورة آل عمران – الآية ١٤٢.

(٢) الكتاب ٣/٤٤. قراءة النصب متواترة، وقراءة الجزم شاذة، وقد قرأ بها الحسن، ويحيى بن يعمر، وأبو حيوة، وعمرو بن عبيد. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢٩، والبحر المحيط٣/٣٦٠، والإتحاف١/٤٨٨ .

لقد قَرَّرَ جَمْعٌ غَفِيرٌ من نحويي العربية قديمًا وحديثًا أَنَّ سيبويه لم يستشهد بالحديث الشريف، بل ذكره ثلاث مرات على سبيل التمثيل، وليس الاحتجاج. قال الشيخ محمد الطنطاوي: " ولم يجنح إلى الاستدلال بالحديث الشريف شأن أسلافه ومعاصريه، وذلك لانعدام الثقة في نقل الحديث بلفظه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم، لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى، إذ لو وثقوا بلفظه لجرى مجرى القرآن الكريم في القواعد الكلية، ثم صارت سنة جارية بعده في المتقدمين والمتأخرين لم يبتدع خلافها غير ابن خروف وابن مالك، ثم الرضي ". (١)

ثُمَّ فَاجَأنا الدكتور/ محمود فجال في كتابه (ارتكاز الفكر النحوي على الحديث والأثر في كتاب سيبويه)، مُقَرِّرًا استناد سيبويه إلى الحديث الشريف والأثر لإثبات القواعد المستخرجة من كلام العرب؛ إذْ أَرْبَى ما ورد من الحديث الشريف والأثر على مئة وثلاثين شاهدًا.

ومن أمثلة ذلك :

(أ) قول سيبويه في (هذا بابٌ أيضًا من المصادر يَنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهارُه):" وأمّا (سُبّوُحًا قُدُّوسًا رَبَّ الملائكةِ

(١) نشأة النحو/٨٤

والرُّوحِ) – (١) فليس بمنزلة سُبحانَ اللهِ؛ لأنّ السُّبّوحَ والقُدّوسَ اسمٌ، ولكنَّهُ على قوله: أَذْكُرُ سُبُّوحًا قُدُّوسًا؛ وذاك أنَّهُ خَطَرَ على باله، أو ذَكَرَهُ ذاكرٌ، فقال: سُبُّحوحًا، أي: ذَكَرْتَ سُبُّوحًا، كما تَقُولُ: أَهْلَ ذاك، إذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ ذَكَرَ الرَّجُلَ بثناءٍ أو بذمٍّ، كأَنَّهُ قال: ذَكَرْتَ أَهْلَ ذاك؛ لأنَّهُ حيث جرى ذِكْرُ الرَّجُلِ فى منطقة صار عنده بمنزلة قوله: أَذْكُرُ فُلانًا، أو ذَكَرْتَ فُلانًا، كما أنَّهُ حَيْثُ أَنْشَدَ، ثم قال: صادِقًا صار الإنشادُ عنده بمنزلة قالَ، ثم قال: صادِقًا وأهلَ ذاك، فحَمَلَهُ على الفعل متابِعًا للقائل والذاكرِ، فكذلك (سُبُّوحًا قُدُّوسًا) كأَنَّ نفسَهُ صارت بمنزلة الرجل الذاكر والمنشِدِ حيث خطر على باله الذِّكْرُ، ثم قال: سُبُّوحًا قُدُّوسًا، أي: ذَكَرْتَ سُبُّوحًا متابِعًا لها فيما ذكَرت وخطَر على بالها .

وخَزَلوا الفعلَ؛ لأنَّ هذا الكلام صار عندهم بدلاً من سَبَّحْتَ، كما كان مَرْحبًا بدلاً من رَحُبَت بلادُك وأَهِلَتْ .

---

(١) الحديث في صحيح مسلم بالرفع في كتاب (الصلاة)، باب (ما يقال في الركوع والسجود)، رقم (٢٢٣). وفي شرح النووي عليه: "قال القاضي عياض: وقيل فيه: "سُبّوحًا قُدُّوسًا" على تقدير: أُسَبِّحُ سُبُوحًا، أو أَذْكُرُ، أو أُعَظِّمُ، أو أَعْبُدُ".٢/٤٤٣

ومن العرب من يَرفع فيقولُ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبَّ الملائكة والرُّوح، كما قال: أهلُ ذاك وصادقٌ واللهِ . وكلُّ هذا على ما سمعنا العربَ تَتكلَّم به رفْعًا ونصبًا ".(١)

(ب) قوله في (باب ما يكون فيه هُوَ وأَنْتَ وأَنَا ونَحْنُ وأَخَوَاتُهُنَّ فَصْلاً): " وأَمَّا قَوْلُهُمْ: " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ ويُنَصِّرَانِهِ" (٢) – ففيه ثلاثةُ أوجهٍ: فالرَّفْعُ وَجْهَانِ، والنَّصْبُ وَجْهٌ واحدٌ.

فأحد وجهى الرفع أن يكون المولود مُضْمَرًا في (يَكُون)، والأبوان مبتدآن، وما بعدهما مَبْنِيٌّ عليهما،كأَنَّهُ قال: حتى يَكُونَ الْمَوْلُودُ أَبَوَاهُ اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ ويُنَصِّرَانِهِ. ومن ذلك قول الشاعر رجل من بني عَبْسٍ: [من الوافر]

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ أَبُوهُ عَبْسٌ فَحَسْبُكَ مَا تُرِيدُ إِلَى الْكَلامِ

وقال آخر: [من الطويل]

مَتَى مَا يُفِدْ كَسْبًا يَكُنْ كُلُّ كَسْبِهِ لَهُ مَطْعَمٌ مِنْ صَدْرِ يَوْمٍ ومَأْكَلُ

---

(١) الكتاب ٣٢٧/١

(٢) الحديث في صحيح مسلم باختلاف في بعض ألفاظه عن هذا، في كتاب (القدر)، باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة).

والوجه الآخر: أن تُعْمِلَ (يَكُون) في الأبوين، ويكون (هُمَا) مبتدأ، وما بعده خبرًا له.

والنَّصْبُ على أن تَجْعَلَ (هُمَا) فصلاً " .(١)

ومراد سيبويه بقوله (وأَمَّا قَوْلُهُمْ) رواة الحديث الشريف؛ إذ تعددت روايات هذا الحديث الشريف، على النحو الذي رأيناه في كتب السنة الشريفة.

رابعًا – الشعر العربيّ الفصيح

الشعر العربي الأصيل الذي جاءت به دواوين الشعراء، وكتب النحويين واللغويين، وبنيت عليه القواعد – ليس كُلَّ الشعر المقال، وليس أصحاب الدواوين هم كُلَّ الشعراء، فما الشعر الموجود بين أيدينا إلا قليلٌ من كثيرٍ مفقود؛ ذلك أنَّ استقراء العلماء لكلام العرب كان ناقصًا، وقد صَوَّرَ لنا ذلك أبو عمرو بن العلاء بقوله: " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاَّ أقلُّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير". (٢)

وما أصحاب الدواوين إلا شُوَيْعِرُون؛ ولذا قال ابن قتيبة: " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيطٌ، أو يقف من وراء عدهم

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٩٣، ٣٩٤

(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢٤٩/١ .

واقفٌ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم، واستغرق مجهوده في البحث والسؤال. ولا أحسب أحدًا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعرٌ إلا عَرَفَهُ، وقصيدةٌ إلا رَوَاهَا".(١)

وقد كَثُرَ عدد الشواهد الشعرية الواردة في كتاب سيبويه، وبلغت – فيما أحْصَاهُ أبو عمر الجرمي – ألفًا وخمسين بيتًا، ولم يُعْنَ سيبويه بنسبة الشعر الذي استشهد به إلى قائله في الغالب، وعُلِّلَ ذلك بأنَّ بعض الشعر قد رُوِي لشاعرين أو أكثر، وبعضه قديم العهد لا يعرف قائله، فاعتمد على شيوخه الأجلاء فيما استشهدوا به ونسب الإنشاد إليهم، وعلى نفسه فيما سمعه بأذنه، ولم يتخذ أحد من العلماء إغفاله لنسبة الشعر سبيلاً للطعن عليه.(٢)

ونسبة أكثر الأبيات الموجودة في الكتاب إلى قائليها واقعة من أبي عمر الجرمي؛ فقد وردت عبارة عُزيت إليه، وهي:" نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتًا، فأمَّا ألف بيتٍ فعرفت أسماء قائليها فأثبتها، وأمَّا خمسون فلم أعرف أسماء قائليها ".(٣)

---

(١) الشعر والشعراء/٦

(٢) ينظر: نشأة النحو/٨٦

(٣) ينظر: طبقات النحويين واللغويين/٧٥، وخزانة الأدب ١٧/١، ونشأة النحو/٨٧

ولا ضير في القواعد من جهل مصدر بعض شواهدها الشعرية، فالأمر– كما قال البغدادي –: " الشاهد المجهول قائله وتتمته، إنْ صَدَرَ من ثقةٍ يُعْتَمَدُ عليه قُبِلَ، وإلا فلا.

ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد، اعتمد عليها خَلَفٌ بعد سَلَفٍ، مع أنَّ فيها أبياتًا عديدةً جُهِلَ قائلوها، وما عيب بها ناقلوها. وقد خَرَجَ كتابه إلى الناس والعلماء كثير، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة، ونُظِرَ فيه وفُتِّشَ، فما طَعَنَ أحدٌ من المتقدمين عليه، ولا ادَّعى أنَّهُ أتى بشعرٍ منكرٍ".(١)

وقد كان للشعراء دورٌ كبير في بناء الكتاب، بل في اتساع مجال القول في العربية، وثراء تراكيبها، وتنوع أساليبها؛ إذ نجد أبوابًا في الكتاب خالصة للشعر والشعراء، ومنها: (باب ما يحتمل الشعر)، و(باب ما رَخَّمَت الشعراء في غير النداء اضطرارًا)، و(باب وجوه القوافي في الإنشاد).

ولا تكاد تجد بابًا من أبواب الكتاب خاليًا من الاحتجاج بالشعر. ودونَكَ نموذجين من الاستشهاد به:

(أ) في باب النفي بـ(لا) قَرَّرَ سيبويه في أحكام (لا) المكررة هذه المسألة التي تقول: إذا أَتَيْنا بعد (لا) النَّافية للجنس والاسم المفرد الواقع بعدها بحرفِ عطفٍ، ونكرةٍ مفردةٍ، وتكررت (لا)، نحو: لا رَجُل ولا امْرَأَةَ في الدَّار، جاز لنا فيها وجهان:

---

(١) خزانة الأدب ١/١٦، ١٧

الوجه الأول: فتح الاسم الأول ونصب الثاني، فتكون (لا) الأولى عاملة عمل (إنَّ)، و(لا) الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف مؤكدة للنفي، والمنصوب بعدها معطوف على محلِّ اسم (لا)، وقد اعتمد في تقرير هذا الوجه على بيتٍ من الشِّعْر منسوبٍ إلى رَجُلٍ من بني سُلَيْمٍ، وهو أَنَسُ بن العبَّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمِيّ.

والوجه الثاني: بناءُ الاسمينِ على الفتح؛ لتركُّبِهما مع (لا)، وهي عاملة فيهما عمل (إنَّ)، وهذا هو الأصل، فنقول: لا رَجُلَ ولا امْرَأَةَ في الدَّار.

وهذا هو مفهوم قول سيبويه: " وتقول: لا رَجُلَ ولا امْرَأَةً يا فتى إذا كانت لا بمنزلتها في لَيْسَ حين تقول: لَيْسَ لك لا رَجُلٌ ولا امرأةٌ فيها. وقال رَجُلٌ من بنى سُلَيْم، وهو أَنَسُ بن العبَّاس : [من السريع]

لا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلا خُلَّةَ اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

وتقول: لا رَجُلَ ولا امْرَأَةَ فيها، فَتُعِيدُ لا الأُولى كَمَا تقول: لَيْسَ عَبْدُ اللهِ ولَيْسَ أَخُوهُ فيها، فتكونُ حَالُ الآخرةِ في تثنيتِهَا كَحَالِ الأُولى. فإنْ قُلْتَ: لا غُلامَيْنِ ولا جَارِيَتَيْنِ لك، إذا كانت الثانيةُ هي الأولى أَثْبَتَّ النونَ؛ لأَنَّ لَكَ خَبَرٌ عنهما، والنون لا تَذْهَب إذا جَعَلْتَهُمَا كاسمٍ واحدٍ؛ لأنَّ النُّونَ أقوى من التنوين، فلم يُجْرُوا عليها

ما أَجْرَوا على التنوين في هذا الباب؛ لأنَّهُ مُفَارِقٌ للنون، ولأنَّهَا تَثْبُتُ فيما لا يَثْبُتُ فيه ".(١)

(ب) قال في (باب ما يُنْصَبُ من المصادر على إضمارِ الفِعل غيرِ المستعمَل إظهارُه): " وقد رَفَعَتِ الشعراءُ بعضَ هذا فجعلوه مبتدأ وجعلوا ما بعده مبنيًّا عليه. قال أبو زُبَيْدٍ: [من الطويل]

أَقَامَ وأَثْوَى ذَاتَ يَوْمٍ وخَيْبَةٌ لأوّلِ مَنْ يَلْقَى وشَر مُيَسَّرُ

وهذا شبيهٌ رفعه ببيتٍ سمعناه ممَّن يوثق بعربيته يَرويه لقومه قال: [من الطويل]

عَذِيرُكَ مِنْ مَوْلًى إذَا نِمْتَ لَمْ يَنَمْ يَقُولُ الْخَنَا أَوْ تَعْتَرِيكَ زَنَابِرُهْ

فلم يَحمل الكلامَ على اعذِرْنى، ولكنّه قال: إنَّما عُذْرُك أيّاى من مولًى هذا أمْرُه.

ومثله قول الشاعر: [من الطويل]

هَاجَيْتُمُ حَسَّانَ عِنْدَ ذَكَائِهِ فَغَيِي لأوْلادِ الْحِمَاسِ طَوِيلُ (٢)

وفيه المعنى الذى يكونُ فى المنصوب، كما أنّ قولَك: رحمةُ اللهِ عليه، فيه معنى الدّعاءِ ،كأنّه قال: رَحِمهُ اللهُ ".(٣)

---

(١) الكتاب ٢/٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه/٢١٠

فالشاهد في البيت الأول هو كلمة (خَيْبَةٌ)؛ فقد رَفَعَهَا الشاعر على الابتداء، مع أنَّها نكرةٌ؛ لأنَّهَا مصدرٌ مستعملٌ في الدعاء.

والشاهد في البيت الثاني هو كلمة (عَذِيرُكَ)؛ فقد رَفَعَهَا الشاعر على الابتداء، مع أنَّ الوجه فيها النصب على أنَّها مصدرٌ موضوع موضع الفعل.

والشاهد في البيت الثالث هو كلمة (غَيٌّ)؛ فقد رَفَعَهَا الشاعر على الابتداء، مع أنَّها نكرةٌ؛ لأنَّهَا مصدرٌ مستعملٌ في الدعاء.

خامسًا – كلام العرب المنثور

ويراد به: أقوال العرب الفصحاء التي انطلقت بها ألسنتهم في غدواتهم وروحاتهم، والأمثال السائرة التي كان يسمعها سيبويه من العلماء الذين يتلقى عنهم، أو يأخذها مشافهة من العرب أنفسهم. وتجد في الكتاب كثيرًا من العبارات التي تدل على ذلك، مثل:

(أ) قوله: " ومن ذلك قول بعض العرب: (أَغُدَّةً كَغُدَّةِ البَعِير، ومَوْتًا في بَيْتِ سُلُولِيَّة) كأَنَّهُ إنَّما أراد: أَأُغَدُّ غُدَّةً كَغُدَّةِ البَعير، وأَمُوتُ مَوتًا في بَيْتِ سَلُولِيَّة ". (١)

(ب) قوله: " وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له: كيف أصبحتَ؟ فيقول: حَمْدُ الله وثَنَاءٌ عليه، كأَنَّهُ يحمله على مضمرٍ في

---

(٣) السابق ٣١٣/١، ٣١٤

(١) الكتاب ٣٣٨/١، والمثل في مجمع الأمثال للميداني ٥٧/١

نيته هو المظهر، كأنَّهُ يقول: أمري وشأني حَمْدُ الله وثناءٌ عليه " . (١)

(ج) قوله في (باب ما جَرَى من الأمر والنهي على إضمار الفعل الْمُسْتَعْمَلِ إظْهَارُهُ إذا عَلِمْت أَنَّ الرَّجُل مُسْتَغْنٍ عن لَفْظِكَ بالفعل): " وهذه حُجَجٌ سُمِعَتْ من العرب ومِمَّنْ يُوثَقُ به يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَها من العرب . من ذلك قَوْلُ العرب فى مَثَلٍ من أمثالهم : اللَّهُمَّ ضَبُعًا وذِئبًا ، إذا كان يَدْعو بذلك على غنمِ رجُل، وإذا سألتَهم ما يَعْنُون ؟ قالوا : اللَّهُمَّ اجْمَعْ أو اجْعَلْ فيها ضَبُعًا وذئبًا ، وكلُّهم يُفَسِّرُ ما يَنْوِى . وإنَّما سَهُلَ تفسيرُهُ عندهم ؛ لأنَّ المضمَر قد اسْتُعْمِلَ فى هذا الموضعِ عندهم بإظهارٍ .

حَدَّثَنَا أبو الخطَّاب أَنَّهُ سَمِعَ بعض العرب ، وقيل له : لِمَ أَفْسَدتم مَكَانَكُمْ هذا ؟ فقال : الصِّبْبَيانَ بِأَبي ، كأَنَّهُ حَذِرَ أن يُلامَ فقال : لُمِ الصِّبْيَانَ .

وحَدَّثَنَا من يُوثَقُ بِهِ أنَّ بعض العرب قيل له : أَمَا بمكانِ كذا وكذا وَجْذٌ ؟ وهو موضعٌ يُمْسِكُ الماءَ ، فقال : بَلَى وِجَاذًا . أى: فأَعْرِفُ بها وِجَاذًا .

... ومنه قول العرب: أَمْرَ مُبْكِياتِكَ لا أمْرَ مُضْحِكَاتِك (٢)، والظَّبَاءَ على الْبَقَر ، يقول: عليك أَمْرَ مُبْكِياتِك ، وخَلَّ الظَّباءَ على الْبَقَرِ ". (٣)

---

(١) السابق ٣١٩/١ ، ٣٢٠

(د) قوله في (باب يُحْذَف المستثنى منه استخفافًا): " وسَمِعْنَا بعضَ الْعَرَب الموثوق بهم يقول: ما منهما مَاتَ حتى رأيْتُهُ في حال كذا وكذا، وإنَّمَا يريد: ما منهما واحدٌ مَاتَ ".(١)

(هـ) قوله في (باب ما يكون فيه هُوَ وأَنْتَ وأَنَا ونَحْنُ وأخواتهنَّ فَصْلاً): " ومثل ذلك قول العرب: مَنْ كَذَبَ كان شرًّا له، يريد: كان الْكَذِبُ شَرًّا لَهُ، إلا أَنَّهُ استغنى بأنَّ الْمُخَاطَبَ قد عَلِمَ أَنَّهُ الْكَذِبُ؛ لقوله: كَذَبَ في أوَّل حديثه، فصار هُوَ وأخواتها هنا بمنزلة مَا إذا كانت لَغْوًا في أنَّها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تُذْكَر".(٢)

(و) قوله في (باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابًا لأمرٍ أو نهي أو استفهامٍ أو تَمنٍّ أو عرض): " وسمعنا عربيًّا موثوقًا بعربيته يقول: لا تَذْهَبْ بِهِ تُغْلَبُ عليه، فهذا كقوله: لا تَدْنُ من الأَسَدِ يَأْكُلْكَ ". (٣)

---

(٢) ينظر: مجمع الأمثال ٣٠/١

(٣) الكتاب ٢٥٥/١، ٢٥٦

(١) الكتاب ٣٤٥/٢

(٢) السابق ٣٩١/٢

(٣) السابق ٩٨/٣

(ز) قوله في (باب استعمالهم إيَّا إذا لم تقع مَوَاقِعَ الحروف التي ذكرنا): " وبلغني عن العرب الموثوق بهم أنهم يقولون : لَيْسَنِي وكذلك كَانَنِي ".(١)

(ح) قوله في (هذا باب أيضًا من المصادر يَنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهارُه): " وسمعتُ أَعرابيًّا وهو أبو مُرْهِبٍ ، يقول: كَرَمًا وطُولَ أَنفٍ ، أي أَكرمْ بك وأَطولْ بأنفِك ".(٢)

(ط) قوله في الباب السابق نفسه: " ومن العرب من يَرفع فيقولُ : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبَّ الملائكة والرُّوح ،كما قال : أهلُ ذاك وصادقٌ واللهِ . وكلٌّ هذا على ما سمعنا العربَ تَتكلَّم به رفعًا ونصبًا ".(٣)

---

(١) السابق ٣٥٩/٢

(٢) السابق ٣٢٨/١

(٣) السابق ٣٢٧/١

الأساس الثامن:

(الاحْتِفَاء بالقياس والاحتكام إليه فِي وَضْعِ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ)

صَحِبَ القياس النحو البصري منذ نشأته على يد أبي الأسود الدؤلي، أول من أسس العربية، ونهج سبلها، ووضع قياسها، حين اضطرب كلام العرب، وصار سَراة الناس ووجوههم يلحنون.(١)

ثم تقدّم القياس خطوة كبيرةً على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعلى نهجه سار عيسى بن عمر الثقفي في طَرْدِ القياس، إلى أنْ جاء الخليل بن أحمد، فأخذ يبني القياس على الكثرة المطردة من كلام العرب، مع نَصِّهِ دائمًا على القليل الذي يخالفه، ومحاولته في أكثر الأحيان أن يجد له تأويلاً (٢)، وشاركه في هذا تلميذه النَّابِهُ سيبويه.

ونظرتهما هذه هي نظرة البصريين العامة إلى القياس، في كونه على الكثير المطرد، لا على القليل الشاذ. وتأمَّلْ عبارات سيبويه الآتية:

(أ) " ولو قالت العرب: اضْرِبْ أيُّ أفْضَلُ لَقُلْتَهُ، ولم يكن بُدٌّ من متابعتهم، ولا ينبغي لك أن تَقِيسَ على الشَّاذِّ المنكر في

---

(١) ينظر : طبقات النحويين واللغويين/ ٢١.

(٢) ينظر : المدارس النحوية، د/ شوقي ضيف/٥٣.

القياس، كما أنَّك لا تَقِيسُ على أمْسِ أَمْسَكَ، ولا على أَتَقُولُ أَيَقُولُ، ولا سَائِرَ أمثلةِ القولِ، ولا على الآنَ آنَك، وأشباه هذا كثير ". (١)

ومراد سيبويه بذلك: أنَّ كلام العرب جاء بإعراب أيّ الموصولة إذا لم تُضَفْ، وحُذِفَ صدر صلتها، وهو المبتدأ، فقالوا: أكْرِمْ أَيًّا أَفْقَهُ، واضْرِبْ أَيًّا أَفْضَلُ.

ولم يأت كلامهم ببنائها، ولو أتت مبنية على الضم، فقالت العرب: اضْرِبْ أيُّ أَفْضَلُ ـ لقلنا مثل قولهم؛ إذ السماع واجب الاتباع، وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

(ب) " فإنَّما هذا الأقَلُّ نوادرُ تُحْفَظ عن العرب ، ولا يُقَاسُ عليها ، ولكنَّ الأكثرَ يقاس عليه ". (٢)

(ج) " إذْ كان من كلامهم حذف النون والحركات . وذلك نحو : مُذْ ، ولَدُ ، وقد عَلْمَ . وإنَّما الأصلُ لَدُنْ ، ومُنْذُ ، وقد عَلِمَ . وهذا من الشَّواذِّ ، وليس ممَّا يُقَاس عليه ويَطَّرد ". (٣)

(د) " والْوَجْهُ كلُّ شاةٍ وسَخْلَتُهَا بدرهمٍ ، وهذه ناقةٌ وفَصِيلُهَا رَاتِعَيْنِ ، لأنَّ هذا أكثرُ في كلامهم ، وهو القياس . والوجه

---

(١) الكتاب ٢/٤٠١، ٤٠٢

(٢) الكتاب ٤/٨

(٣) السابق ٤/٤٠٥

الآخَرُ قد قاله بعضُ العرب ". (١) وهو: " كلُّ شاةٍ وسَخْلَتِهَا بدرهمٍ ، إنَّمَا يريد : كلُّ شاةٍ وسخلةٍ لها بدرهمٍ ".(٢)

(هـ) " وسألته عن قوله: على كم جِذْعٍ بَيْتُكَ مَبْنِيٌّ ؟ فقال: القياسُ النَّصْبُ، وهو قول عامة الناس. فأمَّا الذين جَرُّوا فإنَّهُم أرادوا معنى مِنْ، ولكِنَّهُم حذفوها هاهنا تخفيفًا على اللسان، وصارت عَلَى عوضًا منها ". (٣)

(و) " وكذلك لو أضفت إلى الْمَسَاجِد قلت : مَسْجِدِيٌّ ولو أضفت إلى الْجُمَع قلت : جُمْعِيٌّ كما تقول : رُبّيٌّ . وإنْ أضفت إلى عُرَفَاءَ قلت : عَرِيفِيٌّ . فكذلك ذا وأشباهه . وهذا قول الخليل ، وهو القياس على كلام العرب ". (٤)

وليس للقياس وجودٌ بدون كلام عربيٍّ منقول؛ إذ هو حَمْلُ غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه. (٥) قال سيبويه: " ولو أنَّ هذا القياسَ لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله – لم يلتفت إليه ". (٦) وهذا ما فهمه ابن جني، وصاغه في خصائصه

---

(١) الكتاب ٨٢/٢

(٢) السابق ٨٢/٢

(٣) السابق ٢/ ١٦٠

(٤) السابق ٣/ ٣٧٨

(٥) ينظر: الاقتراح/١٥٢

(٦) السابق ٢٠/٢.

قائلاً: " واعْلَمْ أَنَّكَ إذا أَدَّاكَ الْقِيَاسُ إلى شيءٍ ما، ثم سَمِعْتَ الْعَرَبَ قد نَطَقَتْ فيه بشيءٍ آخر على قياسٍ غيره، فَدَعْ ما كنتَ عليه إلى ما هُمْ عليه".(١)

وقد احتفى سيبويه بالقياس احتفاءً عظيمًا، واحتكم إليه، فكثيرًا ما تُلْفِيهِ يقول: (والقياس كذا)، أو (والقياس يأباه)، أو (وليس بقياس)، أو (وهو القياس). ومن أمثلة ذلك:

(أ) قوله في (باب ما يُحَقَّرُ لِدُنُوِّهِ من الشيء وليس مثله): " وسألتُ الخليل عن قول العرب: (ما أَمَيلِحَهُ !) فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس؛ لأنَّ الفعلَ لا يُحَقَّرُ، وإنَّمَا تُحَقَّرُ الأسماء؛ لأنَّها تُوصَفُ بما يعظم ويهون، والأفعال لا تُوصَفُ، فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء؛ لمخالفتها إيَّاها في أشياء كثيرة".(٢)

إيضاح

أَظُنُّك تلاحظ معي في كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – تقريره أنَّ الكلمة التي يراد تصغيرها لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ اسْمًا، فلا مكان في التصغير للأفعال، والحروف.

ثانيًا – جودة تعليله لجواز تصغير الأسماء، وامتناع تصغير الأفعال بأنَّ التَّصْغِيرَ وَصْفٌ في الْمَعْنَى، والْوَصْفُ من خَصائص

---

(١) الخصائص ١/١٢٦.

(٢) السابق ٣//٤٧٨،٤٧٧.

الأسماءِ، والْفِعْلُ لا يُوصَف؛ لِعَدَمِ اسْتِقْلالِهِ بالإفَادَةِ؛ فَلِذَلِكَ لا يُصَغَّر، قال: "وإنَّمَا تُحَقَّرُ الأسماء؛ لأنَّها تُوصَفُ بما يعظم ويهون، والأفعال لا تُوصَفُ، فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء؛ لمخالفتها إيَّاها في أشياء كثيرة".

ثالثًا – الإثارة والتشويق للقارىء والسامع عن طريق ذكره للسؤال الذي وجهه إلى أستاذه الخليل شيخ العربية الجليل، فتعقيبه بالإجابة؛ ليستقر الكلام في نفس المتلقي استقرارًا عظيمًا، ويقع منها موقعًا حَسَنًا.

(ب) قال في (باب تسمية المؤنث): " فإنْ سميت المؤنث بعَمْرٍو أو زيْدٍ لم يجز الصرف ، هذا قول ابن أبي إسحاق ، وأبي عمرو فيما حدثنا يونس ، وهو القياس ؛ لأنَّ المؤنث أشَدُّ ملاءمة للمؤنث والأصل عندهم أن يُسمى المؤنث بالمؤنث ، كما أنَّ أصل تسمية المذكر بالمذكر ، وكان عيسى يَصْرف امرأةً ، اسْمُهَا عمرو ؛ لأنَّهُ على أخفّ الأبنية ". (١)

إيضاح

لعلك لاحظت معي في كلام سيبويه ما يلي:

أولاً – تقريره أنَّ من موانع صرف الاسم: العلمية والتأنيث، والمنع بهذه العلة متحتم في أحوالٍ، منها: أن يكون الاسم العلم

---

(١) السابق ٣/ ٢٤٢.

المؤنث ثلاثيًّا منقولاً من المذكر إلى المؤنث، نحو: (زيد) أو (عمرو) اسم امرأة.

ثانيًا – ذكره الخلاف الدائر في هذه الحالة، فالمنع هو قول ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو – حَدَّثَهُ بذلك شيخه يونس – والصرفُ قولُ عيسى بن عمر؛ لأنَّ الاسم على أخف الأبنية، وهو الثلاثي الساكن الوسط.

ثالثًا – احتكامه إلى القياس في ترجيح قول ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو على قول عيسى بن عمر، حين قال: " وهو القياس؛ لأنَّ المؤنثَ أشدُّ ملاءمة للمؤنث، والأصل عندهم أن يسمى المؤنث بالمؤنث، كما أنَّ أصل تسمية المذكر بالمذكر" .

(ج) قال في (باب الإضافة ، وهو باب النسبة): " وإذا أضفت إلى أُخْتٍ قلت : أُخَوِيٌّ ، هكذا ينبغي له أن يكون على القياس .

وذَا الْقِيَاسُ قولُ الخليل ، مِن قِبَلِ أنَّك لمَّا جمعتَ بـ[الألف و]التاء حذفتَ تاء التأنيث كما تَحْذف الهاء ، ورددتَ إلى الأصل ، فالإضافةُ تَحْذِفُهُ كما تَحْذِف الهاءَ ، وهي أرَدُّ له إلى الأصل .

وسمعنا من العرب من يقول في جمع هَنْتٍ : هَنَوَاتٌ ، قال الشاعر: [من الطويل]

أرَى ابْنَ نِزَارٍ قَدْ جَفَانِي وَمَلَّنِي ... عَلَى هَنَوَاتٍ كُلُّهَا مُتَتَابِعُ

فهي بمنزلة أُخْتٍ . وأمَّا يونس فيقول : أُخْتِيٌّ ، وليس بقياسٍ".(١)

وكلامه هنا ظاهرٌ، وليس في حاجةٍ إلى إيضاحٍ.

مخالفة سيبويه للقاعدة العامة في القياس

وقع من سيبويه خَرْقٌ للقاعدة العامة التي وَضَعَهَا أَقْطَاب المدرسة البصرية للقياس، وجاء هذا الخرق على وجهين:

الوجه الأول: القياس على شاهد واحد

قَاسَ سيبويه على شاهدٍ واحدٍ وارد عن العرب، حين التزم في النسب إلى فَعُولَة صحيحة العين واللام، أو صحيحة العين معتلة اللام – حَذْفَ الواو مع حذف التاء، وفتح العين، مثل: فَرُوقَة، وحَلُوبَة، ورَكُوبَة، وعَدُوَّة، تقول في النسب إليها: فَرَقِيٌّ، وحَلَبِيٌّ، ورَكَبِيٌّ، وعَدَوِيٌّ.

وحجة سيبويه في ذلك: قول العرب في النسب إلى شَنُوءَة: شَنَئِيٌّ. (٢)

وقاس سيبويه على شَنَئِيّ، ولم يسمع في ذلك غيره؛ لأنَّهُ لم يرد ما يخالفه.

---

(١) الكتاب ٣/٣٦٠، ٣٦١

(٢) ينظر: السابق ٣/٣٣٩

وقد عَقَدَ ابن جني لجواز القياس على ذلك بابًا في خصائصه، وهو (باب في جواز القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه)، ونقل كلام أبي الحسن الأخفش في (شنوءة)، وفَسَّرَه، حين قال: " قال أبو الحسن: فإنْ قُلْتَ: إنَّما جاء هذا في حرف واحد – يعني شنوءة – قال: فإنَّهُ جميعُ ما جاء. وما ألطفَ هذا القولَ من أبي الحسن! وتفسيره: أنَّ الذي جاء في فَعُولَة هو هذا الحرف، والقياس قابله، ولم يأت فيه شيء ينقضه. فإذا قاس الإنسانُ على جميع ما جاء، وكان أيضًا صحيحًا في القياس مقبولاً، فلا غروَ، ولا ملامَ ".(١)

الوجه الثاني: رفض القياس على الكثير

قَرَّرَ الخليل وسيبويه أنَّ حذف ياء فُعَيْلٍ – مضموم الفاء صحيح اللام – عند النسب شاذٌّ يحفظ، ولا يقاس على الوارد منه، نحو قولهم فى النسب إلى هُذَيْل: هُذَلِىّ، وفى فُقَيْم كنانة: فُقَمِىٌّ، وفى مُلَيْح خزاعة: مُلَحِىّ، بحذف ياء فُعَيْلٍ. (٢)

---

(١) الخصائص ١/ ١١٧

(٢) ينظر: الكتاب ٣/٣٣٥. خُصَّ فُقَيْم بكنانة؛ لأن فى بنى تميم فُقَيْم بن جرير بن دارم، والنسبة إليه: فُقَيْمِىّ، وخُصَّ مُلَيْح بخزاعة؛ لأن فى العرب مُلَيْح بن الهون بن خزيمة، وفيهم – أيضًا – مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة، وينبغى أن تكون النسبة إليهما: مُلَيْحَيًّا. ينظر: المخصص ١٣/٢٣٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٦/١١.

مع أنَّ هذا الحذف الوارد في كلام العرب كثير، حتى قال الصيمريُّ: " وأكثر كلام العرب بحذف الياء "،(١) ومن معالم المذهب البصرى الذى هو مذهبهما: القياس على الكثرة المطردة من كلام العرب، وفى حكمهما على ما ورد بحذف الياء بالشذوذ مناقضة لذلك، ونبذ له؛ إذ هو كثير فى الكلام.

وقد ثبت على ذلك الْمَعْلَم البصري الْمُبَرّدُ والسيرافيُّ؛ فقاسَا الإثبات والحذف على السواء، وجاء ابن سيده وابن يعيش والرضى فقرروا على استحياء من مخالفة الخليل وسيبويه أنَّ هذا الباب لكثرته كالخارج عن الشذوذ، وأنَّ ذلك خاصة فى العرب الذين بتهامة وما يقرب منها؛ لأنَّهم قد قالوا فى قُرَيْشٍ وهُذَيْل وفُقَيْم كنانة ومُلَيْح خزاعة: قُرَشِيّ، وهُذَلِيّ، وفُقَمِيّ، ومُلَحِيّ، وكذا قالوا فى سُلَيْم وقُرَيْم وجُرَيْب وحُرَيْث وخُثَيْم، وهم من هذيل: سُلَمِيّ، وقُرَمِيّ، وجُرَبِيّ، وحُرَثِيّ، وخُثَمِيّ، وهؤلاء كلهم متجاورون بتهامة وما يدانيها، والعلة الداعية إلى حذف الياء: اجتماع ثلاث ياءات مع كسرة الوسط إذا قالوا: قُرَيْشِيّ ونحوه، فعدلوا إلى الحذف؛ طلبًا للخفة.(٢)

---

(١) التبصرة والتذكرة ٥٨٧/٢.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه ٤/ ٩٣، والمخصص ٢٣٨/١٣، ٢٣٩، وشرح المفصل ١١/٦، وشرح الرضى على الشافية ٢٩/٢، ٣٠.

واعتمد مذهبَ المبردِ والسيرافيّ مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة، وقضى به، فَقَرَّرَ أنَّ السماع وارد بحذف الياء وإثباتها فى النسب إلى فُعَيْلٍ – بضم الفاء – مذكرة ومؤنثة، فى الأعلام وفى غير الأعلام، ولأجل هذا يجاز الحذف والإثبات.(١)

وما دام الأمر كذلك فالحق مع هؤلاء، والقياس على هذا الحذف جائزٌ؛ إذ هو لغة لقوم من العرب مشهود لهم بالفصاحة، فقد سأل الكسائىُّ الخليل: من أين أخذتَ علمك ؟ فقال: من بوادى نجد والحجاز وتهامة.(٢)

وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُ الأزهري: إذا نسبوا إلى قريش قالوا: قُرَشِيّ بحذف الزيادة، وللشاعر إذا اضطر أن يقول: قُرَيْشِيّ(٣)؛ إذ جعل الحذف الذي هو شاذ عند الخليل وسيبويه قياسًا، وجعل الإثبات الذي هو القياس عندهما ضرورةً.

أظُنُّكَ ترى معي الخليلَ وسيبويْهِ يتمحلانِ عند مندوحةٍ، ويَنْبذَانِ مَبْدأَ مَدْرَستهما العام في القياس. ولا أراك تَقْبَل ذلك منهما في هذه المسألة، بل تميل إلى المبردِ والسيرافيّ ومجمع اللغة العربية بالقاهرة حاذيًا حَذْوَهُم.

---

(١) ينظر: كتاب فى أصول اللغة: من إصدارات المجمع ٨٥/٢، ٨٦.

(٢) ينظره : نشأة النحو /١٠١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، واللسان (قرش).

(تَقْرِيرٌ)

بَعْدَ ما عَرَضْنَاهُ من الأُسُسِ أَمَا تَتَوَارَى خجلاً أيُّها القائل: إنَّ سيبويه ارتضى لنفسه منهج الافتراض في وضع القواعد !

أَلا تَتْرُكُ دَعْوَتَكَ إلى رَفْعِ باب المبتدأ والخبر من صرح النحو العربيّ الذي أفنى علماؤنا أعمارهم في تشييده؛ لتتساوى العربية – في زعمك – مع غيرها من اللغات الأخرى التي لا يوجد فيها إلا الجملة الفعلية !

أَمَا عَلِمْتَ أنَّ النَّحْوَ العربيَّ وُضِعَتْ أبْوَابُهُ كلُّها؛ خِدْمَةً لكتاب الله – تعالى – وفيه الجملة الاسمية، ونواسخها أفعالاً وحروفًا ! وما إعرابُكَ للجملة الاسمية فيه لو أُجِيبت دعوتك ؟

إنَّ كلمة النَّحْو تدلُّ على قصْد منطق العرب الصواب لاتباعه، وهذا ما قاله ابن جني في خصائصه، عندما حَدَّ النَّحْوَ بأنَّهُ: " انتحاء سمت كلام العرب في تصرُّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شَذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها".(١)

---

(١) الخصائص ١/ ٣٤

فالنحو اتباعٌ لكلامِ العرب وليس افتراضًا، واقتفاءٌ لآثارهم وليس تعديًا لحدود كلامهم، ورحم الله – تعالى – أبا بشرٍ وأبا الفتح.

الأَسَاسُ التَّاسِعُ:

(وُضُوحُ شَخْصِيَّةِ سِيبَوَيْهِ فِي الْكِتَابِ)

قَدَّمَ سِيبَوَيْهِ للباحثين من خلال كتابه درسًا قَيِّمًا في الشخصية العلمية الجيدة التي ينبغي أن يكون عليها الباحث، وهي الشخصية الواعية التي تفهم ما يُلْقَى على مسمعها، أو تقع عليه عَيْنُهَا.

تَضَعُ هذه الشخصيةُ كُلَّ قضيةٍ علميةٍ على مائدةِ الملاحظة، وتُخْضِعُها للبحث والدراسة والتحليل والنقد الجيد القائم على الأدلة القوية، لا على الهوى، وتَعْرِضُ كُلَّ ما قيل في القضية المطروحة، ثُمَّ تُرَجِّح ما تراه راجحًا مُسْتَنِدَةً إلى الأدلة الداعمة، معتمدةً على الحجج البالغة.

تِيكَ الشخصية تحرص في دراستها على ترتيب الأبواب، وتفريعها، مع عناية بالغة بتناسق الموضوعات، وترابط الأفكار، وتسلسل الفقرات. قال الشيخ الطنطاوي: " فلم يك سيبويه في كتابه جَمَّاعًا لآراء السابقين فحسب، بل له شخصيةٌ قويَّةٌ ظهرت في ابتداع بعض القواعد، وفي ترتيب الكتاب حاويًا عناصر الفن كلها، وتبويبه واضعًا كل شيء وما يتصل به معه، وحسن التعليل للقواعد، وجودة الترجيح عند الاختلاف، واستخراج الفروع من القياس الذي امتلأ به الكتاب ". (١) وهَاكَ نموذجين كاشفين عن شخصية

---

(١) نشأة النحو /٨٣

سيبويه؛ أحدهما في ابتكار رأيٍ جديدٍ، والآخر في جودة الترجيح بين الآراء:

(النموذج الأول)

ذهب الخليل بن أحمد إلى أنَّ موضع المصدر المؤول المجرور بعد حذف الجار نصبٌ، وقد حَكَى ذلك عنه تلميذه النابه سيبويه، وكان ذلك من الخليل جوابًا لسؤال أثاره التلميذ النبيه، وها هو ذا يحكي لنا ذلك، فيقول: " وسألت الخليل عن قوله – جلّ ذكره –: ﴿ وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ فقال: إنَّما هو على حذف اللام، كأنَّهُ قال: ولأنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

وقال: ونظيرها ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾(١)؛ لأنَّهُ إنَّمَا هو: لذلك ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ ﴾(٢) فإن حذفتَ اللام من (أنَّ) فهو نصب، كما أنك لو حذفتَ اللام من ﴿لِإِيلَٰفِ ﴾ كان نصبًا. هذا قول الخليل ".(٣)

ولم يكتفِ سيبويه بترديد كلام شيخه – على وجاهته – بل أَعْمَلَ فِكْرَهُ، وأَشْحَذَ ذِهْنَهُ، وأَطَالَ النَّظَرَ في كلام العرب، فأجاز أن يكون موضع المصدر المؤول المجرور بعد حذف الجار جرًّا بالحرف المحذوف، مُعلِّلاً جواز ذلك بكثرة حذف الجار مع (أنَّ) في كلام

---

(١) سورة قريش – الآية ١ .

(٢) سورة قريش – جزء من الآية ٣ .

(٣) الكتاب ١٢٦/٣ ، ١٢٧ .

العرب، وهذا مراده بقوله: " ولو قال إنسانٌ : إنَّ (أَنَّ) في موضع جرٍّ في هذه الأشياء ، ولكنَّهُ حرفٌ كَثُرَ استعماله في كلامهم ، فجاز فيه حذف الجار ... لكان قولاً قويًّا ". (١)

وما زال هذان الرأيان يترددان في كتب النحو العربي، وينتقلان من عصر إلى عصر، حتى استقرَّا أمامنا معشر الدارسين.

(النموذج الآخر)

لقد عرض سيبويه خلافًا دار بين بعض أئمة العربية في تصغير كلمة (أَحْوَى)، وهم: عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس، ولم يكتف بذكر هذا الخلاف فقط، بل قام بترجيح رأيٍّ يونس على رَأْيَيْ مخالفيه، وكان القياس معتمده في هذا التصويب.

وتأمَّلْ قوله في (باب تحقير بنات الياء والواو اللاتي لاماتهنَّ ياءاتٌ وواواتٌ): " وأمَّا عيسى فكان يقول: أُحَيٌّ، ويَصْرف، وهو خطأ. لو جَازَ ذَا لَصَرَفْتَ أَصَمَّ؛ لأنَّهُ أَخَفُّ من أَحْمَرَ، وصَرَفْتَ أَرْأَسَ إذا سَمَّيْتَ به، ولم تَهْمِزْ فقلتَ: أَرَسُ.

وأمَّا أبو عمروٍ فكان يقول: أُحَيّ. ولو جَازَ ذَا لَقُلْتَ في عَطَاءٍ: عُطَيٍّ؛ لأنَّها ياءٌ كهذه الياء، وهي بَعْدُ ياء مكسورة، ولَقُلْتَ في سِقَايَةٍ: سُقَيّيَةٌ، وشَاوٍ: شُوَيٍّ.

---

(١) السابق ١٢٨/٣.

وأمَّا يُونُسُ فقوله: هذا أُحَيٌّ، كما ترى، وهو القياس والصواب ".(١)

فعيسى بن عمر صَغَّرَ (أَحْوَى)، فقال: أُحَيٌّ، فَصَرَفَهَا؛ لما لحقها من تخفيف بحذف لامها، وهي الياء الأخيرة؛ إذ أصلها: أُحَيْوِيُ، فجرت عليها قاعدة القلب والإدغام، فصارت: أُحَيِّيُ، فحذفت الياء الأخيرة؛ تخفيفًا.

وقد خَطَّأَهُ سيبويه، ورَدَّ عليه بـ:أَصَمّ، وأَرَس، فإنَّهما ممنوعان من الصرف مع ما لحقهما من تخفيفٍ بالإدغام، وحذف الهمزة.

وأبو عمرو بن العلاء صَغَّرَهَا، فقال: أُحَيٍّ، بياء مشددة مكسورة منونة، وحذف لام الكلمة لعلة تصريفية، مثل: جَوَارٍ، وتنوينها تنوين العوض.

ورده سيبويه بأنَّهُ لو جَازَ هذَا لَجاز أن يقال في عَطَاءٍ: عُطَيٍّ؛ لأنَّ فيه ياءً مكسورة كهذه الياء، وهذا لم يَقُلْهُ عربيٌّ.

ويونس صَغَّرَهَا، فقال: أُحَيٌّ، ممنوعة من الصرف؛ للوصفية ووزن الفعل، قياسًا على كلمة (أَحْمَر) وأشباهها.

وحذا سيبويه حذو أستاذه يونس في تصغير هذه الكلمة؛ فقرَّرَ أنَّ رأْيَهُ هو الصواب؛ لمجيئه على القياس.

---

(١) الكتاب ٣/٤٧٢.

(الْخَاتِمَة)

قد تَمَخَّضَ عن تحديد الأسس المنهجية التسعة السابقة، فدراستها بشيءٍ من التفصيل أمران عظيمان، دونك بيانهما:

الأمر الأول: (براءة سيبويه مما نُسِبَ إليه من تُهَمٍ، دارت على ألسنة بعض الحداثيين)، وهي:

- أنَّهُ لم يكن يعرف منهج التصنيف.

- أنَّهُ ارتضى لنفسه مَنْهَجَ الافتراض في وَضْعِ القواعد.

- أنَّهُ لم يكن ينشغل كثيرًا بما يَرِدُ عن غيره من علماء العربية.

- أنَّ كتاب سيبوَيْهِ ليس كتاب قواعد نحوية وصرفية.

والأمر الثاني: (استخراج سِمَات الْبَاحِثِ الْجَيِّدِ من كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ)، فهناك حَقَائِقُ عِلْمِيَّةٌ، ضَمَّهَا الْكِتَابُ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ، وسَبَقَ إليها سِيبَوَيْهِ غَيْرَهُ من الْبَحَثَةِ الْعَرَب.

ولا بُدَّ أنْ تُقَرَّرَ هذه الْحَقَائقُ، وتُعْلَنَ على الْمَلإ؛ لِتُوضَعَ في حَقِيبَةِ صَاحِبِها، فَيُعْزَى الْفَضْلُ إلى أَهْلِهِ.

السِّمَةُ الأُولَى: (الرَّغْبَةُ الدَّائِمَةُ في الْبَحْثِ والْمَعْرِفَةِ وسَعَةِ الاطِّلاعِ)

إنَّ مفتاحَ أيّ عَمَلٍ بَحْثِيٍّ لَهُوَ القراءة الواعية، والاطلاع الكافي، وحُبّ المعرفة، وبذْلُ الْغَالي والنَّفِيس؛ للإلمام بكلّ ما يتصل بموضوع البحث من قريب أو بعيد، ثُمَّ الفهم الجيد؛ لكي يتمكن

الْبَاحِثُ من الإبْدَاعِ في بحثه، وتَزْوِيد الباحثين بمادةٍ معرفيةٍ جديدةٍ، تَرْوِي غُلَّةَ الصَّادي، وتُشْبِعُ نَهَمَ الدَّارِسِ، وتُسَاهِمُ في إثراء المكتبة العربية.

وهذا ما رأيناه في سيبويه الذي رَغِبَ – في بداية حياته – في طلب الحديث على يد شيخه حماد بن سلمة المحدث اللغويّ، ثُمَّ غَيَّرَ مسارَ حياته من طلب الحديث إلى طلب اللغة، عندما لَحِقَهُ التأنيب من شيخه على خَطَإٍ لُغَوِيٍّ صَدَرَ منه حين استملائه لحديث شريف.

فقد جاء سيبويه إلى حَمَّادِ بن سلمة لكتابة الحديث، فاستملى منه قول النبي– صَلَّى الله عليه وسلم–: " لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِي أَحَدٌ إِلَّا وَلَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ عَلَيْهِ لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاءِ".(١)، فقال سيبويه: لَيْسَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فصاح به حَمَّادٌ: لَحَنْتَ يا سيبويه، إنَّمَا هذا اسْتِثْنَاءٌ، فقال سيبويه: واللهِ لَأَطْلُبَنَّ عِلْمًا لا يُلَحِّنُنِي معه أَحَدٌ، ثُمَّ مَضَى، ولَزم الخليلَ وغَيْرَهُ من أَئمَّة اللغة، وَشَمَّرَ عَن سَاعِد الْجِدّ، وبَذَلَ الْغَالِيَ والنَّفِيسَ، وذَهَبَ إلى الْعَرَب الْفُصَحَاءِ، وَسَمِعَ منهم، حَتَّى سَلَّمَتْهُ الْعَرَبِيَّةُ مقاليد خزائنها النحوية والصرفية واللغوية؛ فَبَرَعَ في النَّحْوِ أَيَّمَا بَرَاعَةٍ، فَاقَ بها أَقْرَانَهُ، وصَارَ رَأْسَ مَدْرَسَةِ الْبَصْرَةِ بلا مُنَازِعٍ، وأَخْرَجَ للناسِ كِتَابًا جَامِعًا لقواعد اللغة، لَقَّبَهُ الْعُلَمَاءُ من بعده بـ(قُرْآن النَّحْو)، ولَقَّبُوهُ هو بـ(إمام النحويين).

---

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين / ٦٦

السِّمَةُ الثَّانِيَةُ: (الأَمَانَةُ الْعِلْمِيَّةُ)

لَقَدْ أعطى سِيبَوَيْهِ الْعَالِمُ النَّبِيهُ جميعَ الْبَحَثَةِ الْعَرَبِ – قُدَامَى ومُحْدَثِينَ – درسًا تَطْبِيقِيًّا في الأمانة العلمية، يضرب بجذوره في أعماق التاريخ العلمي، فيمتد إلى القرن الثاني الهجري وَاضِحًا وُضُوحًا جَلِيًّا بَيْنَ صَفَحَاتِ كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ.

وقد تمثل هذا الدَّرْسُ في عَزْوِ الأقوال والآراء إلى أصحابها على النَّحْوِ الذي قالوه، دونما زيادةٍ، أو نقصٍ؛ فلم يُسْنِدْ إلى أَحَدٍ شيئًا لم يَقُلْهُ، أو رَأْيًا لَمْ يَذْهَبْ إليه، أو قضيةً لم يتناوَلْهَا، أو مسألةً لم يَطْرَحْهَا.

وما ادَّعَى لنَفْسِهِ شيئًا ممَّا قاله أحد شيوخه، أو عَزَا إلى عالمٍ رأيَ غَيْرِهِ، ويشهد لذلك قول المبرد: ذُكِرَ سيبويه عند يونس بن حبيب البصري، فقال: أَظُنُّ هذا الغلامَ يَكْذِب على الخليل، فقيل له: وقد رَوَى عنك أشياءَ كثيرة، فانظر فيها، فنظر فيها، وقال: صَدَقَ في جميع ما قال، هو قولي. (١)

وتَجَلَّى – أَيْضًا – في عَرْضِهِ لِأسئلةٍ وَجَّهَهَا إلى شُيُوخِهِ الأجلاءِ، فإجابَاتِهِمْ عليها، مع تَعْيِينِ الشَّيْخِ المسؤول؛ فَتَرَى في الكتابِ – لَوْ نَظَرْتَ فيه – سَيبَوَيْهِ يَسْأَلُ والْخَلِيلَ يُجِيبُ، وتَجِدُ فيه سَيبَوَيْهِ يَسْأَلُ وأَبَا الخطَّابِ يُجِيبُ، وتُلْفِي فيه سَيبَوَيْهِ يَسْأَلُ ويُونُسَ يُجِيبُ.

---

(١) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء / ٥٥

فهل بعد ذلك من أَمَانَةٍ عِلْمِيَّةٍ، تُعْزَى لِباحثٍ مُتَمَيِّزٍ، أو براعَةٍ بحثيةٍ، يَتسم بها عالمٌ لبيب ؟! إنَّ في سيبويه لَذِكْرَى لِكُلِّ بَاحِثٍ وَاعٍ، وقُدْوَةً لِكُلِّ دَارِسٍ جَادٍّ، يَبْغِي الْحَقِيقَةَ، وَيَنْشُدُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا.

السِّمَةُ الثَّالِثَةُ: (الْمُوْضُوعِيَّةُ)

الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ لا يُبْنَى على الْمُيُولِ، ولا يقوم على الأهواء، ولا يَنْهض بركُون الباحث إلى انتمائه المذهبيّ، بل يقوم على حُسْنِ الاستنباط، وإعمال العقل، والاستناد إلى الأدلة، ويَتَّسِمُ صَاحِبُهُ بِالْمَوْضُوعِيَّةِ، ومعناها: التَّجَرُّدُ مِنْ الآراء الخاصة، والْبُعْدُ عَنْ الأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ في الْبَحْثِ.

والْبَاحِثُ الْمُتَمَيِّزُ من وِجْهَةِ نَظَرِ سِيبَوَيْهِ الْعَمَلِيَّةِ هُوَ الذي يَقِفُ مَوْقِفًا وَسَطًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ عند عَرْضِ آرائهم، ومناقشة أقوالهم؛ بُغْيَةَ الْوُصُولِ إلى الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ.

فلا يَمِيلُ إلى رَأْيٍ؛ عَصَبِيَّةً لِبَلَدٍ، أو جامعةٍ، أو كُلِّيَّةٍ، أو مَدْرَسَةٍ، ولا يَتَحَيَّزُ إلى مَذْهَبٍ، أَو عَالِمٍ؛ إِشْبَاعًا لِمُيُولِهِ الشَّخْصِيَّةِ، أَو جُنُوحًا لانْتِمَائِهِ.

ذَلِكُمُ الْبَاحِثُ الْمَوْضُوعِيُّ لا يرمي الأَحْكَامَ على عَوَاهِنِهَا، ولا يختار رأيًا على رأيٍ، أو يُرَجِّحُ مَذْهَبًا على مَذْهَبٍ، أو يَنْتَصِرُ لقضيةٍ على أخرى، دون الاحتكام إلى دليلٍ قويٍّ، أَو بُرهَانٍ ساطِعٍ، أَو حُجَّةٍ بَالِغَةٍ من سماعٍ أو قياسٍ.

السِّمَةُ الرَّابِعَةُ: (الدِّقَّةُ)

من سمات الْبَاحِثِ الْجَيِّدِ الذي مَثَّلَهُ سِيبَوَيْهِ خَيْرَ تَمْثِيلٍ: الدَّقَّةُ في نقل أَقْوال الآخرين دون زيادةٍ فيها، أو نقصٍ، أو تَغييرٍ يُخِلُّ بمراد أَصْحَابِها، والتَّأَكُّدُ من صِحَّةِ الشَّوَاهِدِ الْمَسْمُوعَةِ، وسَلامَةِ الأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ، وصِدْقِ القائل اللغوي، والتثبت من ثقة الراوي، وروايته المنقولة عن العرب – قبل وصف هذه الشواهد والأدلة؛ حتى تكون الأحكام الصادرة مقبولة وفَعَّالة.

فَيَتَرَدَّدُ في الْكِتَابِ نَحْوُ هَذِهِ الْعِبَارَات: (حَدَّثَنِي مَن لا أَتَّهِمُ)، و(حَدَّثَنَا من نَثِقُ بِهِ)، و(بَعض العرب الموثوق بهم)، و(حَدَّثَنَا بِذَلك ... عَمَّنْ يُوثَقُ بِهِ من الْعَرَبِ)، و(أَنَّهُ سَمِعَ من يوثق بعربيته من العرب يُنْشِد هذا البيت)، و(زَعَمَ مَنْ نثق به).

السِّمَةُ الْخَامِسَةُ: (الاسْتِقْلالِيَّةُ)

فلا يكون الباحث النَّبيهُ صورةً لغيره في كل شيءٍ، ولا جَمَّاعَةً للأقوال والنصوص، دون تَدَخُّلٍ فيها باختيارٍ، أو رَدٍّ، أو تَرْجِيحٍ، أو نَقْدٍ، بل يجب على الباحث أن يكون ذَا شَخْصِيَّةٍ في بَحْثِهِ، حاضر البديهة، متوقد الذهن؛ يربط الأفكار رَبْطًا جَيِّدًا، ويَعْرِضُ الآراء، ويُوَازِنُ بينها مُوَازَنَةً دَقِيقَةً؛ فَيُحَدِّدُ الآراء الراجحة التي تؤيدها الشواهد الْقَوِيَّة، ويَنْبذُ الأقوال الضعيفة التي لا سَنَدَ لها، أو ينتهي إلى رَأْيٍ عِلْمِيٍّ جَدِيدٍ، أو يُثْبِتُ نَظَرِيَّةً ما.

السِّمَةُ السَّادِسَةُ: (الإثارة والتشويق للقارىء)

أسلوب الإثارة والتشويق للقارىء مُعْتَمَدُ الباحث الجيد في كِتَابَاتِهِ؛ وذلك عن طريق استخدام الاستفهامات، وطَرْح الأسئلة، ثم

الإجابة عنها؛ فإذا رَأَى القارئ السؤال المثار تَشَوَّقَ إلى معرفة الإجابة.

وهذا ما فعله سيبويه في الكتاب، فهو يذكر السؤال الذي وَجَّهَهُ إلى أَحَدِ أساتذته الأجلاء، ثُمَّ يعقبه بالإجابة؛ ليستقر الكلام في نفس المتلقي استقرارًا عظيمًا، ويقع منها موقعًا حَسَنًا.

ومن مظاهر الإثارة والتشويق: الْفَنْقَلَةُ التي نراها في بعض كتب التراث، وبعض الكتابات الحديثة – وهي: فإنْ قيل، أو فإنْ قلتَ، أو فإنْ قال قائلٌ، وما يليها من جوابٍ – فإذا قرأ القارئ الشرط تطلع إلى معرفة الجواب.

وقد بَدَتْ الفنقلة كثيرة جليةً في الكتاب، فَكَم من فَنْقَلاتٍ علمية قَدَّمَهَا سيبويه؛ إثارةً لقارئه، وإشْرَاكًا له في الحوار اللغوي عن طريق الخطاب، وإشْعَارًا له بالواجب عليه تجاه لغته، ودَفْعًا له للاعتزاز بها. ومن أمثلتها أقوال سيبويه الآتية:

(أ) " فَإنْ قيل : أمضافةٌ إلى معرفةٍ أو نكرةٍ ؟ فإنَّك قائلٌ : إلى معرفةٍ ، ولكنها أُجريت مُجرى النكرة ". (١)

(ب) " فإنْ قُلْتَ : ما بالُ العربِ قد قالت إنِّي وكَأَنِّي ولَعَلِّي ولَكِنِّي ؟ فإنَّهُ زعم أنَّ هذه الحروف اجتمع فيها أنَّهَا كثيرةٌ في

(١) الكتاب ٢/ ٥٥

كلامهم ، وأنَّهُم يستثقلون في كلامهم التضعيف ، فلما كثر استعمالهم إيَّاها مع تضعيف الحروف حذفوا التي تلي الياء .

فإنْ قُلْتَ : لَعَلِّي ليس فيها نونٌ فإنَّهُ زعم أنَّ اللام قريبٌ من النون. وهو أقربُ الحروف من النون. ألا ترى أنَّ النون [قد] تُدْغَمُ مع اللام حتى تُبْدَلَ مكانَها لامٌ ، وذلك لقُرْبِها منها ، فحذفوا هذه النونَ كما يحذفون ما يكثر استعمالهم إيَّاه.

... فإنْ قُلْتَ : قد تقولُ : اضْرِبِ الرَّجُلَ فَتَكْسِرُ ، فإنَّك لم تَكْسِرها كسرًا يكونُ للأسماء ، إنَّمَا يكون هذا لالتقاء الساكنين".(١)

ثُمَّ الصَّلاةُ بَعْدَ حَمْدِ الصَّمَدِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدِ (٢)

---

(١) السابق ٢/ ٣٦٩

(٢) البيت من بحر الرمل لأبي القاسم الحريري في ملحة الإعراب/٤٨

(أهم المصادر والمراجع)

- القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.[هود/١].

- أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة. مكتبة الرُّشْد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطى تح د/شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب: بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- أخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى تح د/ محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى تح د/مصطفى النماس، توزيع مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى تح د/حمدى عبد الفتاح مصطفى، الجريسى للكمبيوتر والطباعة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات الأنبارى، ومعه كتاب: الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيى الدين عبد

الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصارى، ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ/ محمد محيى الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة جديدة منقحة سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

– البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان الأندلسى، طبعة جديدة بعناية الشيخ/ زهير جعيد، دار الفكر سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

– بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات الأنبارى، تح د/ طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٦م.

– تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى، مكتبة الحياة، بيروت، (بدون تاريخ).

– تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى تح/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧هـ.

– تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر)

تقديم د/ عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٧م.

- التبصرة والتذكرة للصيمرى تح د/ فتحى أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري، تح/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

- تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تح/ إبراهيم عطوه عوض، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى تح د/ محمد عبد المنعم خفاجى وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة (بدون تاريخ).

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى، تح د/ عبد الرحمن على سليمان، دار الفكر العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى تح/ عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة (بدون تاريخ).

- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على الألفية، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى (بدون تاريخ).

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

- حجة القراءات لأبى زرعة تح/ سعيد الأفغانى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادى تح/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

- الخصائص لابن جنى تح/ محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى العلوم العربية للشنقيطى تح د/ عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى تح د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ديوان أمية بن أبى الصلت، تح د/ سجيع جميل الجبيلي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار صادر بيروت.

- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

- ديوان حسان بن ثابت - رضى الله عنه - تح / عَبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

- ديوان ذى الرمة، شرح الخطيب التبريزي، تح/ مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

- ديوان زهير بن أبى سلمى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به/ حمْدُو طمّاس، دار المعرفة، لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تح/ محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م.

- ديوان العجاج تح/ عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق (بدون تاريخ).

- ديوان عمر بن أبى ربيعة، تح/ فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ديوان القطامي، تح / إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

- ديوان النابغة الجعدي، تح/ واضح الصمد. دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

- سر صناعة الإعراب لابن جنى تح د/ حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة، النشر والتوزيع (بدون تاريخ).

- شرح التسهيل لابن مالك وابنه تح الدكتورين/ عبد الرحمن السيد ومحمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- شرح جمل الزجاجى لابن عصفور تح د/ صاحب أبو جناح، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- شرح الرضى على الكافية تصحيح وتعليق د/ يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- شرح شافية ابن الحاجب للرضى تح/ محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد السيرافى، تح/ أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

- شرح المفصل لابن يعيش، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ومكتبة المتنبى - القاهرة (بدون تاريخ).

- الشعر والشعراء لابن قتيبة تح/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- صحيح مسلم تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابي الحلبي (بدون تاريخ) .

- طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ).

- كتاب سيبويه تح/ عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- كتاب فى أصول اللغة، من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طُبع الجزء الأول سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، والجزء الثانى سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب، تح د/ محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- لسان العرب لابن منظور تح/ عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف بمصر.

- مجمع الأمثال للميداني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

- مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبى، القاهرة (بدون تاريخ).

- المخصص لابن سيده، الناشر: دار الكتاب الإسلامى، القاهرة (بدون تاريخ).

- مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى، تقديم د/ محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تح/ محمد أحمد جاد المولى وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى (بدون تاريخ).

- المقتضب للمبرد تح د/ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى تح د/ إبراهيم السامرائى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ/ محمد الطنطاوى، مطبعة وادى الملوك، الطبعة الرابعة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، أشرف على تصحيحه/ على محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

- النكت فى تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمرى تح/ زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى تح د/ عبد الحميد هنداوى، المكتبة التوفيقية بالقاهرة (بدون تاريخ).

****

" هذا البحث تم دعمه من قبل برنامج دعم البحوث والباحثين بجامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية برقم: (kku_s003_33) "